الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: (أدب جزائري)

البيئة في رواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد

دراسة موضوعاتية

مقدمة من قبل:

الطالبة منال جدور

تاريخ المناقشة: 24 / 6 / 2025

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
يزيد مغمولي	أستاذ مساعد أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
وردة معلم	أستاذ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
أحلام عثامنية	أستاذة محاضرة أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2025/2024

شكر وعرفان:

اللهم لك الحمد والشكر أولا على ما أعطيت ويسرت وسهلت وباركت، ولك الحمد والشكر أخيرا، فأنت الوهاب الرزاق القدير

أتقدم بوافر الشكر والتقدير والاحترام إلى أستاذتي المشرفة: "وردة معلم" عرفانا لها بالجميل لما بذلته من جهد في رعاية هذا البحث والإشراف على كامل مراحل تكوينه دون أن تدخر جهدا أو تبخل بفكرة.

كما أزف عبارات الود والاحترام لكامل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي فلهم مني خالص التقدير.

وإلى كل من ساعدني في هذا البحث من قريب أو بعيد، من الأهل إلى الخليل، ألف شكر.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يُعدُّ الأدبُ مرآةً تعكسُ تفاعُلَ الإنسانِ معَ محيطهِ البيئيّ، سواءٌ أكانَ طبيعيّاً أم اجتماعيّاً، حيثُ يبرزُ دورُ الكتّابِ والأدباءِ في تسليطِ الضوءِ على القضايا البيئيةِ من خلالِ أعمالِهم الإبداعيةِ، مُعبّرينَ عنِ العلاقةِ الجدليّةِ بينَ البشرِ والطبيعةِ. وفي هذا السّياقِ، يُمثّلُ الأدبُ البيئيُّأحدَ التوجّهاتِ النقديةِ الحديثةِ التي تدرسُ تمثيلاتِ الطبيعةِ في النصوصِ الأدبيةِ، وكيفيةِ تعاملِ الإنسانِ معها، سواءٌ من خلالِ الاستغلالِ الجائرِ أو من خلالِ محاولاتِ الحفاظِ عليها.

ولقدْ شكّلتِ البيئةُ مكوّناً أساسيّاً في العديدِ من الأعمالِ الأدبيةِ العربيّةِ والعالميّةِ، حيثُ وظّفَ الروائيّونَ والشعراءُ عناصرَ الطبيعةِ ليسَ فقط إطارا زخرفيّا، بلْ كفاعلٍ رئيسيٍّ يؤثّرُ في الأحداثِ والشخصياتِ. ففي الأدبِ العربيّ، نجدُ أعمالاً روائيّةً وقصصيّةً كثيرةً تتعاملُ معَ البيئةِ بوصفها فضاءً حيّاً يُسهمُ في تشكيلِ الهُويّةِ والمصيرِ،كما في مدن الملح لعبدِ الرّحمنِ منيفٍ،هذه السباعية التي تُصوّرُ التغيّراتِ البيئيةِ الناتجةِ عنِ النفطِ والتصنيعِ، أو في أعمالِ الطاهرِ وطّارِ،و عبد الحميد بن هدوقة و غيرهما من الروائيين الذين أبرزوا فكرة الصراعَ بينَ الريفِ والمدينةِ.

أمّا في الأدبِ الغربيّ، فقدْ تناولَ كتّابٌ مثلُ جونْ شتاينبك في روايتهِ "عناقيدُ الغضبِ" تداعياتِ التصحّرِ والاستغلالِ الزراعيّ على المجتمعاتِ الريفيّةِ.

وفي السّياقِ المغاربيّ، وبالأخص الجزائري منه تُعدروايةُ"مملكةُ الزيوان للصديق حاج أحمد نموذجاً أدبيّاً يُعالجُ الإشكالاتِ البيئيةَ من خلالِ سردٍ يعكسُ الواقعَ بكلّ تعقيداتِه؛ فمن خلالِ شخصياتِ الروايةِ وفضاءاتِها، يُقدّمُ الروائي رؤيةً نقديّةً للعلاقةِ بينَ الإنسانِ والطبيعةِ، مُستحضراً قضايا التصحّرِ، واستنزافَ الموارِدِ، وتأثيرَ التغيّراتِ المناخيّةِ على المجتمعاتِ المحليّةِ. وبهذا، تندرجُ الروايةُ ضمنَ خطابٍ أدبيٍّ يربطُ بينَ الوعيِ البيئيّ والمسؤوليةِ الاجتماعيةِ.

ولاتقتصردراسةَ البيئةِ في الأدبِ على وصفِ المناظرِ الطبيعيّةِ، بلْ تتعدّاها إلى تحليلِ السّياساتِ الاقتصاديّةِ والاجتماعيّةِ التي تُهدّدُ التوازنَ البيئيَّ. فالأدبُ بهذا المعنى،

يصبحُ وسيلةً لفهمِ الأزماتِ البيئيةِ وتأثيراتِها على حياةِ الإنسانِ، كما يُسهمُ في تعميقِ الوعيِ بأهميةِ الحفاظِ على البيئةِ كقضيّةٍ مصيريّةٍ. ومن هذا المنطلق حاولنا أن نجمع بين الدارس و القارئ ،بالاطلاع على رواية مملكة الزيوان للصديق الحاج أحمد الذي خص عمله الأدبي هذا بالحديث عن بيئة الصحراء الجزائرية التي يشهد لها التاريخ بالانتصارات و الانكسارات،و قد عملنا على ضبط عنوانا لهذه المذكرة وسمناه**ب:البيئة في رواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد**،و تمحورت حوله **إشكالية بحثنا** التي صغناها في هذا السؤال:كيف أثرت العوامل البيئية على الشخصيات والأحداث و الأمكنة و الأزمنة في رواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد؟

وتفرعت عن هذا السؤال الإشكالي مجموعة من الأسئلة الفرعية التي ساعدتنا الإجابةعنها في القبض على موضوع بحثنا،و قد جاءت مرتبة بحسب فصلي الدراسة ،و تمثلت في :

_كيف تجلت البيئة في الأدب بشعره و نثره عبر العصور الأدبية؟

_كيفَ عكسَت رواية مملكة الزيوان العلاقة بين البيئة و الأدب على مستوى البناء؟

وأما عن أسباب اختيار الموضوع فإنه يعود إلى جملة من الأسباب منها،ماهو ذاتي،ومنها ماهو موضوعي. فأما الذاتي فيتمثل في:

– الرغبة في إثراء الحقل النقدي بدراسة جديدة تعتمد المنهج الموضوعاتي .

– الرغبة في الكشف عن آليات التمثيل الأدبي للأزمة البيئية .

وأما الموضوعي فيتمثل في:

_ الأهمية الأدبية للرواية و تميزها في المشهد الثقافي المغاربي.

_ راهنية الموضوع البيئي و ارتباطه بواقع المجتمع الجزائري.

_ ندرة الدراسات النقدية التي تناولت البعد البيئي في الرواية.

_ الجدة في الطرح الأدبي للقضايا البيئية في الرواية.

_ إبراز دور الأدب في التوعية البيئية وخلق الوعي النقدي.

وتعود أسباب اختياري لمدونة البحث إلى حضور البيئة فيها توصيفا وخطابا.

وتتمثل أهمية هذه الدراسة في:محاولة قراءة النص الأدبي من منظور نقدي بيئي يكشف عن عمق العلاقة الجدلية بين الإنسان و بيئته، بالإضافة إلى إبراز كيفية توظيف العناصر الطبيعية كأداة تعبيرية تسهم في بناء الدلالات وتشكيل الخطاب الروائي.

وأما عن أهداف الدراسة، فتتمثل في محاولة الكشف عن الرؤى البيئية في مملكة الزيوان،ومدى تعبيرها عن الوعي البيئي المعاصر بدراسة العلاقة الجدلية بين الشخصيات والفضاء البيئي في العمل الأدبي.

وأما عن أهمية الموضوع، فتتمثل في كونه دراسة بكر في سياق البيئة، تسعى إلى مواكبة الدّراسات المهتمة بها من وجهة نقدية أدبيّة.

وقسّمت الدّراسة إلى فصلين مسبوقة بمقدمة، ومشفوعة بخاتمة.

ففي الفصل الأول المعنون ب"البيئة في الأدب " تم التطرق فيه إلى مفهوم البيئة في الأدب و حضورهافي كل من الشعر و النثر حسب العصور، أما الفصل الثاني المعنون ب:" مظاهر حضور البيئة في رواية مملكة الزيوان" درسنافيه العناصر الآتية :البيئة و الزمن الروائي ، و البيئة و الشخصية الروائية، و البيئة والفضاء الروائي.

وختمنا البحث بخاتمة كانت عبارة عن جملة من الاستنتاجات، يليها ملحقا قدمنا فيه تعريفا للروائي وملخصا للرواية.

و اعتمدت في دراسة موضوع البيئة في الأدب المضوعاتية البنوية؛ لمرونته، وانفتاحه على عدّة مناهج، وحداثيّته، ولأنّه يسمح بتتبع الثمات البيئية الرئيسية و تشابكاتها مع البنى السردية، مع الاستناد إلى التحليل الوصفي الدقيق لتمثيل الفضاء الطبيعي وعلاقته بتطور الشخصيات.

وتجدر الإشارة إلى أننا لسنا أول من خاض غمار هذه التجربة،فهناك عدة دراسات سابقة في تناول الفكرة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- ✓ مقال عنوانه: النقد البيئي وأبعاده الثقافية رواية مملكة الزيوان للروائي الصديق حاج أحمد أنموذجا، مجلة جسور المعرفة، المجلد8، العدد23،2022/9/3
- ✓ مقال عنوانه :حضور النسق الديني في الرواية الجزائرية، مقاربة ثقافية لرواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد، عبد الرحيم بوشاقور وحبيب بوسفادي، مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، جامعة عين تموشنت، المجلد 12، العدد 03، 2020/11/30.
- ✓ أطروحة دكتوراه (ل م د) توظيف التراث في رواية مملكة الزيوان "للصديق حاج أحمد" للطالبة زهراء رابح، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2020/2019

و نعتقد أن دراستنا تختلف عن هذه الدراسات من ناحية المنهج و الموضوع.

و اعتمدنا جملة من المصادر و المراجع نذكر منها: البيئة ومفهومها العلمي المعاصر لرجاء وحيد دويدري، وتقنيات السرد الروائي لإبراهيم صنع الله.

وككل الدراسات لمتخلدراساتنا من صعوبات اعترضت طريقنا منها: قلة التجربة والممارسة في هذا المجال،وصعوبة التحكم في كل مسارات الموضوع، وقلة المصادر والمراجع.

وفي الأخير نشكر الأستاذة معلم وردة التي أشرفت وصبرت علينا، وقدرت جل ظروفنا، ولم تدخر جهدا في المساعدة، كما نشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة،ونسأل الله التوفيق في عملنا.

الفصل الأول: البيئة في الأدب

تمهيد

1_ مفهوم البيئة

أ_مفهوم البيئة لغة.

ب_مفهوم البيئة اصطلاحا.

أولا:علاقة البيئة بالأدب

ثانيا:نظرية النقد البيئي وتطورها في الدراسات الأدبية

ثالثا:حضور البيئة في الشعر العربي

رابعا: حضور البيئة في النثر

تمهيد:

تُعد البيئة في الأدب عنصرًا حيويًا يُسهم في تشكيل الحبكة وتطوير الشخصيات؛ حيث يُظهر تأثير المحيط الطبيعي والاجتماعي على سلوك الأفراد، وتفاعلهم مع الأحداث. و تتنوع البيئات في الأدب تبعًا للقيم والأخلاق، والعادات السائدة في الوسط الذي تنشأ فيه الرواية، ومنها البيئة المحلية، والبيئة الاجتماعية، والبيئة الطبيعية. في هذا السياق، يُعنى المؤلفون بعكس أثر البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها على نفوسهم وتكوين أذواقهم، وقد يختص بعضهم ببيئات معينة أو أنواع خاصة من الحياة الاجتماعية، كالبيئة البحرية أو حياة الجندية أو حياة المدن الصناعية أو الأوساط التجارية.

1_مفهوم البيئة :

أ-لغة:

ورد في لسان العرب تعريف البيئة في قوله: «بوأ، بَاء إلى الشَّيْءِ يَبِيتُ، بَوَأْتُ إِلَيْهِ أَيُّ مَرْجَعًا وَبَاءَ بِذَنْبِهِ وَإِثْمِهِ وَآبَئْتُ الْمَكَانَ، وَالْبَاءَةَ وَالْمَبَاءةَ الْمَنْزِلَ وَقِيلَ مَنْزِلُ الْقَوْمِ (...) وَبَاءَتْ بَيْنَة سُوءٍ أَي بِحَالِ سُوءٍ، وَإِنَّهُ لَحُسْنُ الْبَيْئَةِ وَعَمَّ بَعْضَهُمْ بِهِ جَمِيعَ الْحَالِ (...) وَفِي أَرْضِ كَذَا فَلَأَنْ تَبِيئُ فِي فَلَاةً ». [1]

يجعل هذا التعريف من البيئة مفهومًا مكانيًا في الأساس، يركز على الاستقرار المادي للإنسان، مما يجعلها جزءًا من التكوين الجغرافي والاجتماعي للأفراد والمجتمعات.

كما ورد تعريف آخر في تاج العروس ،يقول صاحبه:« وبوأ فيه وَبَوَّأَهُ لَهُ، بِمَعْنَى هَيَّا لَهُ أَنْزَلَ وَمَكَّنَ لَهُ فِيهِ كَأَبَاءَهُ إِيَّاهُ، قَالَ أَبو زيد :أَبَاتُ القوم منزلاً وَبَوَّاهُمْ مَنْزِلاً إِذْ نَزَلْتُ بِهِمْ إِلَى سَندِ جَبَلٍ أَوْ قِيلَ نَهْرُ وَ الاسْمُ الْبَيِّنَةِ بِالْكَسْرِ .

كما أورد الفيروز أبادي تعريفا للبيئة في قوله: «والاسْم الْبَيِّنَةِ بِالْكَسْرِ وَالرُّمْحِ نَحْوَهُ: قَابَلَهُ وَالْمَكَانُ حَلَّهُ، وَأَقَامَ بِهِ، وَتَبَوَّأْ وَالْمَبَاءَةُ الْمَنْزِلِ كَالْبَيْئَةِ وَالْبَاءَة وَبَيْتُ النَّحْلِ فِي الْجَبَلِ وَمُتَبَوَّا الْوَالِدَيْنِ الرَّحِم ، وَآبَاءَ الإبل رَدَّهَا إِلَيْهِ وَفَرَّ الأَديمُ، وَالْبَيِّنَةُ بِالْكَسْرِ الْحَالِ، وَفُلَانٌ تَبَيَّئ في فلاة.

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 1997، ص ،268, 267

كما وردت أيضا: البيئة في اللغة مشتقة من الفعل (بوأ) و (تبوأ) أي نزل وأقام. والتبوء: التمكن والاستقرار والبيئة : المنزل . ( ) والبيئة بمعناها اللغوي الواسع تعني الموضع الذي يرجع إليه الإنسان، فيتخذ فيه منزله ومعيشته، ولعل ارتباط البيئة بالمنزل أو الدار له دلالته الواضحة ؛حيث تعني في أحد جوانبها تعلق قلب المخلوق بالدار وسكنه إليها، ومن ثم يجب أن تنال البيئة بمفهومها الشامل اهتمام الفرد كما ينال بيته ومنزله اهتمامه وحرصه. [1]

و يعرف المعجم الوسيط البيئة بأنها مجموعة العوامل الطبيعية والجغرافية والاجتماعية التي تؤثر في الكائنات الحية والإنسان، وتحدد نمط حياته وسلوكه.[2]

يظهر هذا التعريف أن البيئة لا تقتصر فقط على المكان الذي يعيش فيه الإنسان، بل تشمل جميع المؤثرات التي تحيط به، سواء أكانت طبيعية (مثل المناخ والتضاريس)، أو اجتماعية (مثل العادات والتقاليد)، أو ثقافية (مثل القيم الفكرية والأدبية).

و أما في المعجم الرائد، فيرى أن البيئة هي المحيط الذي يعيش فيه الكائن الحي، ويتأثر به ويؤثر فيه، سواء كان هذا المحيط طبيعيًا أو اجتماعيًا أو ثقافيًا." [3]يتضمن هذا التعريف عنصرين أساسيين:

التأثير: أي أن البيئة تؤثر على الإنسان من حيث ظروفها الجغرافية والمناخية والاجتماعية.

التأثر: أي أن الإنسان بدوره يساهم في تغيير البيئة عبر الأنشطة البشرية المختلفة.

أما في المعجم الغني فقد أضاف إليها البُعد العلمي، حيث يقول:"البيئة هي الوسط الطبيعي والاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الإنسان، ويؤثر في نموه وتطوره وسلوكياته."[4]

[1] الفيروزأبادي ، القاموس المحيط، ج1 دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1999،ص 70.

[2]مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،،ج2، دارالدعوة، القاهرة، مصر، د.ت، د.ت، ص75.

[3]جبران مسعود، المعجم الرائد، دارالعلم للملايين، بيروت،لبنان، ط1، 1964،ص75.

[44]الغني عبد العزيز، المعجم الغني، دارالكتب العلمية، بيروت،لبنان ، 2001, ص 72.

يظهر هذا التعريف أن البيئة ليست فقط عاملًا خارجيًا، بل هي أيضًا عنصر مهم في تكوين الشخصية الفردية والجماعية، مما يعزز فكرة تأثير البيئة على الأدب والفنون والمجتمع ككل.

ما نستشفه من مجمل التعاريف اللغوية ، التقاء هؤلاء العلماء في نقطة رئيسة ألا وهي ارتباط البيئة بالمكان.كما لاحظنا أن جذور كلمة "البيئة" تعود إلى الفعل "بوأ"، ومنه باء يبوء، بوءا، فيقال: باء إلى الشيء : رجع ،ومنه أيضا الباء والباءة اللتان تعنيان النكاح وسمي كذلك لأن الرجل يتبوأ من أهله أي يستمكن من أهله كما يتبوأ من داره. والأصل في الباءة المنزل وباء بالذنب التزم ورجع وأقر ومباءة الإبل : معطنها ومكان أناختها، والمباءة من الرحم حيث تبوأ الولد.

من خلال المفاهيم السابقة نلاحظ أنها تجمع على مفهوم يصب في نفس المصب، وهو تقريبا الارتباط بالمكان والعودة باستمرار إليه بالرجوع أو الإقامة أو الإصلاح، ولا ينظر لها فقط كمحيط خارجي؛ إنما أحد العناصر الفاعلة التي تؤثر في الذات الفردية و الجماعية.

ب_اصطلاحا:

نقر قبل التطرق إلى تعريف البيئة تعريفا اصطلاحيا، بفكرة أن هذا المفهوم قديم قدم الدراسات الأدبية، وقد عرفت البيئة تعريفات عديدة ومتباينة كل حسب وجهة نظره، ومن بين التعريفات نذكر:هيكل ما يحيط بالإنسان من ماء وهواء وأرض فهو يؤثر فيها ويتأثر بها[1].في حين يرى البعض أن البيئة تدل على علاقات الكائنات الحية بعضها ببعض » .

إذن يمكن القول أن للبيئة تعريفين « الأول يهتم به العلم وهو علم الايكولوجيا الذي يقوم بدراسة التفاعلات الحاصلة في محيط معين ، والثاني مرتبط بدراسة أماكن معيشة الكائنات الحية في محيط ما.[2]

[1] عبد القادر أبو العلا، البيئة والمحافظة عليها، دار المعرفة، القاهرة،مصر، د.ط،2005،ص 1.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة،مصر، ط2، 1982, ص 341 .

كما يمكن القول إن موضوع البيئة متشعب وشائك، ونظرا لتعدد مجالات الإنسان، فإن ما يمكن أن نستشفه من خلال مجمل التعاريف الاصطلاحية، أن مفهوم البيئة قد تشعب، بحيث أصبح يشمل كل المجالات التي تستخدم للإحاطة بمختلف العلاقات والروابط التواصلية بين الكائنات، بالإضافة إلى الوسط المعيشي لكن سرعان ما أعلنت البيئة تمردها عن مفهومها الضيق ، لتحتضن عالم التعابير الحسية من شعور ووجدان.

وتلعب البيئة دورًا جوهريًا في تفسير سلوك الشخصيات وفهم دوافعها؛حيث إنها تشكل المناخ العام الذي يحدد ملامح العمل الأدبي وأسلوبه. كما أن البيئة في الأدب ليست مجرد خلفية للأحداث، بل عنصر فعال يتفاعل مع الشخصيات،ويسهم في تشكيل رؤيتها وسلوكها، مما يجعلها عاملًا أساسيًا في بناء النصوص الأدبية وتحليلها.[1]

وتنقسم البيئة في الأدب إلى بيئة طبيعية، تشمل التضاريس والمناخ والطبيعة الجغرافية التي تؤثر في مجريات الأحداث، واجتماعية، وتعكس القيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، وثقافية، وتبرز الفكر السائد وتوجهات الشخصيات. كما أن بعض الأعمال الأدبية تجعل من البيئة عنصرًا محركًا للأحداث؛ حيث تلعب دورًا في تشكيل الصراع بين الشخصيات، كما هو الحال في الروايات التي تسلط الضوء على تأثيرات البيئة القاسية على مصير الأفراد.

ويتضح مما تقدم أن الصلة التي تعقد بين المعنى اللغوي المفردة "البيئة" ودلالاتها الاصطلاحية إنما تتأسس على أن جميع المعاني القاموسية تشير إلى أن مفردة "البيئة" تحيل على المكان والمحيط والوسط منزلا عند الإنسان، وموطن الإناخة والتجمع عند الحيوان (الإبل ومكان وموضع استقرار الجنين الولد) من الرحم. غير أن المعاني القاموسية تشير أيضا إلى معاني الرجوع والعودة والالتزام، مما يعني حتمية العودة إلى المنزل كضرورة حياتية وعمرانية. تماما كما تعد "البيئة"، وسطا حيويا للكائن فيه تستمر حياته، وتكتمل دورتها.[2]

---

[1] المرجع السابق، ص 342.

[2] الزبيدي فيض ،تاج العروس من جواهر القاموس،مج 1، ترجمة: علي بشر، دار الفكر ،بيروت، لبنان، (دط)، 1994، ص 117 .

أولا: مفهوم البيئة في الأدب:

البيئة في الأدب هي الإطار الزمني والمكاني الذي تدور فيه أحداث العمل الأدبي، بما يشمله من عناصر طبيعية واجتماعية وثقافية تؤثر في الشخصيات والحبكة.و يُشير مفهوم البيئة إلى كل ما يحيط بالشخصيات من ظروف جغرافية، ومناخية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وهو عامل مهم في تشكيل طبيعة النص الأدبي وتأثيره.

و يُعرّف أحد النقاد البيئة الأدبية بأنها: "بيئة القصة في حقيقتها **الزمانية والمكانية، أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي ،وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم وأساليبهم في الحياة"**[1].

ويؤكد ناقد آخر على أن البيئة ليست مجرد خلفية للأحداث، بل هي عنصر مؤثر في سلوك الشخصيات وتطور الحبكة، حيث يقول: "**لا يمكن فصل الأفراد عن بيئتهم، فالشخصيات الأدبية تتأثر بالمجتمع الذي تعيش فيه، ويتجلى ذلك في طريقة تفكيرها وتفاعلها مع الأحداث"** [2].

وتتنوع البيئات في الأدب بين البيئة الطبيعية، التي تصف التضاريس والمناخ والمظاهر الجغرافية، والبيئة الاجتماعية، التي تسلط الضوء على العادات والتقاليد والطبقات الاجتماعية، والبيئة الثقافية، التي تعكس الفكر والفنون والتقاليد الأدبية في المجتمع.

ومما لوحظ أن الأدباء اختلفوا في تناولهم للبيئة، فالبعض يركز على الوصف التفصيلي للأماكن والشخصيات، كما هو الحال في المدرسة الواقعية، بينما يدمجها آخرون في التحليل النفسي والاجتماعي للشخصيات، كما يظهر في المدرسة الطبيعية.و في الأدب العربي، نجد أن البيئة الصحراوية مثلًا كانت عنصرًا بارزًا في الشعر الجاهلي، بينما في الرواية الحديثة نجد اهتمامًا بالبيئة الحضرية والريفية وتأثيرهما على الإنسان.

و يختلف الكُتّاب في أساليب وصف البيئة، فمنهم من يُفضل الوصف المفصل الدقيق لكل ما يتعلق بالبيئة الطبيعية، ومنهم من يُدخل الطبيعة في حسابه بوصفها عاملًا

[1] نجممحمد يوسف. فن القصة، دارصادر للطباعة والنشر،بيروت، عمان، ط1، 1996، ص 89.

[2] هلال محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث. دار الفكر العربي، القاهرة،،مصر،ط1،2004 ص 132.

مؤثرًا في الحوادث والشخصيات. ويستند القاص في رسم بيئته الروائية إلى الملاحظة والمشاهدة، أو من قراءاته الخاصة، أو ينسجها بخياله، مع تسليط قوة الاختراع والإبداع، خاصة في الروايات التاريخية ؛ حيث يتم البحث عن البيئة في كتب التاريخ لالتقاط أوصاف الأزياء والأخلاق والعادات في ذلك العصر .

إذن ،تلعب البيئة الدور البالغ في حياة الفرد،فتؤثر على نفسيته و على طريقته في التفكير والتحليل كما تؤثرعلى صحته الجسدية والعقلية. وذهب دارسون إلى اعتبار البيئة عاملا رئيسيا في تغيير نفوس الناس وأحوالهم، حيث تختلف طبائع الأقاليم وأجوائها فيختلف تأثيرها في نفوس الناس وأحوالهم ونظام اجتماعهم، لأن طبيعة الأقاليم هي التي تصنع بيئة المجتمع.

لذلك اختلفت الآداب باختلاف البيئات؛ فكان الأدب اليوناني نتيجة بيئة متعددة المشاهد على المؤثرات، يعرف أصحابها بكثرة المغامرات، فجاءت قصصهم ملونة بالخيال، أما البيئة العربية فكانت بسيطة، يكثر فيها الحل والترحال.[1]

و يذكرنا هذا الحديث بالشاعر العباسي علي بن جهم وحادثته المشهورة مع المتوكل ، فقد عرف عن الشاعر جفاء وخشونة طبعه، ومرد ذلك بيئته الصحراوية ، ولما سمع علي بن جهم " بالهبة والعطية قصد قصر المتوكل طمعا قائلا:

أَنْتَ كَالْكَلْبِ فِي حِفَاظِكَ لِلْودِ وَ كَالتَّيسِ فِي قِرَاعِ الخُطُوبِ
وَأَنْتَ كَالدَّلْوِ لَا عَدِمْناك دولاً[2]

الكلب، التيس ، الدلو متلازمات يومية عند الشاعر و دلالتها عنده أن الكلب يحفظ الود و لا يخون و يخذل صاحبه . والتيس شجاع في نظره لأنه يدافع عن قطيعه،والدلو وسيلة لحمل الماء يسقيه و كلبه و أغنامه و بذلك يرى الشاعر أنه وصف الخليفة بأجمل العبارات، و أستوف حقه في المدح لكنها في نظر الخليفة و مجالسيه من حاشيته من الحضر (ذم).

[1] صدقي عبد الرحمن. البيئة وتأثيرها في الأدب، دار المعارف، القاهرة ،مصر، 2003, ص 129.
[2] سعود بن يوسف الغماش، شرح الرصافية، دارعيون المها، أربد، الأردن،(د،ط) ، (د،ت) ص9

و لم يغضب الخليفة و وجد لابن الجهم العذر لمعرفته بمقاصد البدو، فاستضافه في قصر منيف من قصور الأمراء العباسيين، فقضى شهوراً يتجول بين منتزهات و منتجعات بغداد، و خالط أهلها ،و جاب شوارعها و شرب خمرها ،و حذق أمرها و غازل حواريها،إلى أن طلبه الخليفة يوماً إلى مجلسه فسأله ماذا ترى في بغداد ،فقال قصيدته الشهيرة ومطلعها :

عُيون المَهَا بَينَ الرّصَافَة وَ الجسر جَلَبنَ الهَوَى من حَيثُ أَدْري وَلَا أَدْري

أعِدنَ لي الشّوقَ القَديمَ و لم أكُن سَلَوتُ لكن زِدْنَ جَمراً على جَمرٍ .....

ونلحظ هنا كيف غيرت البيئة من مفردات وعبارات الشاعر من عبارات قاسية قسوة البيئة القديمة للشاعر إلى أخرى عذبة عذوبة البيئة الجديدة.

أولا : عند الدارسين العرب القدامى والمحدثين

تطرق الآمدي إلى موضوع البيئة و أثراه بآرائه ؛حيث يقول:إنه الشيء كما هو وكما شوهد من غير إعراب وإبداع» .[1]

ويقصدبالمقولة السابقة أن العرب ، يصفون ما وقعت عليه أعينهم ، كما هو وما هو معاش ،وهوما تميزت به العرب السابقة، فما وقعت عليه عين الشاعر من مناظر طبيعية كان له مكانة في نتاجه الشعري ،كما أن اللغة تختلف من شاعر لآخر حسب كل قبيلة ،فهناك ألفاظ تكون سهلة غير موحشة على البعض وغير مستسهلة على الآخر، حيث تتعلق ببنيات المتن الشعري الذي تنكشف فيها البنية عبر الاستخدام اللفظي والتصويري، والذي يتحقق على مستويات معينة من الحضور الموضوع البيئة، وذلك لأن هذه البيئة تتأسس على اللغة التي تمثل أداة جوهرية للمبدع،وكما تكشف عن أثر البيئة في عملية التصوير الشعري وفي استلهامإبداعهمن مكونات البيئة .

و أشار أيضا أحمد حسن الزيات لأثر البيئة في نفسية الأفراد، بقوله للأقاليم أثر صعب في حياة أهلها ،فهوالذي ينهج لهم سنن معاشهم ونظام اجتماعهم، ويكون الكثير

[1] صدقي عبد الرحمن. البيئة وتأثيرها في الأدبالبيئة ،ص 130.

الغالب من أخلاقهم ، وتفهم من هذا القول أن لعناصر البيئة الأثر البالغ في التكوين الخلقي لأهل المنطقة .[1]

ولم يكن اللجوء إلى استعمال مظاهر البيئة وصور الطبيعة حكرا على الأدباءالعرب بل نجد أن الأدباء الغربيين من بينهم:توماس وارتن في كتابه تاريخ الشعر الانجليزي تحدث عن مكانة الشعر القديم وأهميته ، بوصفه يسجل لمحات من الزمن القديم، ويحفظ أوضح صور الماضي تصويرا وتعبيرا.

وعلى أساس هذا الاهتمام الموسع في علاقة الأدب عامة بالبيئة في العصر الحديث، كان نتيجة بروز وتعدد علوم أخرى تبحث في علاقات البيئة والكائنات بها، سواء من المفهوم العلمي الخالص أو من خلال المجالات و المفاهيم المختلفة منها الاجتماعية الفلسفية والسياسية ... وما إلى ذلك .

وعد هيبوليت تين من أهم الفلاسفة الذين وظفوا آراءهم حول المجتمع لدراسة الأدب وتبيان علاقته بالبيئة.كما عد من الفلاسفة الذين « وسعوا من حجم علاقة الأدب بالبيئة من خلال الثلاثية المشهورة (الجنس ،العصر، البيئة) لفهم حركته وظواهره، وما نفهمه من هذا أنه فصل في هذه العناصر، ورأى أن العلاقة بين الأدب والبيئة تتحقق عندما تتكافأ العناصر الثلاثية من الجنس، والعصر والبيئة؛ إذ نجده يقصد بالجنس، ذلك العرق والأصل. أما العصر فقد تمثل في الزمن الراهن، أما البيئة فقد تجسد في الحيز المكاني الذي يمثل أحد عناصر البيئة بما يحتويه من شخصيات.[2]

ثانيا: نظرية النقد البيئي وتطورها في الدراسات الأدبية :

يُعد النقد البيئي من أحدث الاتجاهات النقدية التي ظهرت في الدراسات الأدبية، حيث يركز على العلاقة بين الأدب والبيئة، ويبحث في كيفية تمثيل الطبيعة في النصوص الأدبية وتأثيرها على الشخصيات والسرد.

[1] المرجع السابق، ص 131.

[2] بكارتوفيق. مفاهيم النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، القاهرة،مصر، 2010, ص 232.

وقد ظهر هذا التوجه كرد فعل على الأزمات البيئية المتزايدة في العالم، مما دفع النقاد إلى إعادة النظر في **كيفية تعامل الأدب مع القضايا البيئية**، سواء من خلال تصوير الطبيعة كعنصر محوري في العمل الأدبي أو من خلال تسليط الضوء على المشكلات البيئية مثل التلوث والتغير المناخي. ومع تطور هذا الاتجاه، أصبح النقد البيئي يشمل مجالات متعددة مثل العدالة البيئية،و الإيكولوجيا العميقة، والنقد البيئي النسوي، مما جعله أداة تحليلية قوية لفهم العلاقة بين الإنسان والبيئة في النصوص الأدبية.

1_ مفهوم النقد البيئي:

يُعرف النقد البيئي بأنه فرع من الدراسات الأدبية يهدف إلى تحليل الطريقة التي يتم بها تمثيل البيئة والطبيعة في الأعمال الأدبية، ومدى تأثير العوامل البيئية على الشخصيات والأحداث. وبحسب الناقد الأدبي لورانس بويلر، فإن النقد البيئي هو: "**دراسة الأدب من منظور بيئي، تُركز على تمثيل البيئة والطبيعة في النصوص، وتأثيرها على تطور الحبكة والشخصيات، بالإضافة إلى تسليط الضوء على القضايا البيئية في الخطاب الأدبي.**" [1]

يُظهر هذا التعريف أن النقد البيئي لا ينظر إلى البيئة على أنها مجرد خلفية للأحداث، بل كعنصر ديناميكي يؤثر في تطور الحبكة والشخصيات. على سبيل المثال، في الروايات التي تسلط الضوء على الكوارث الطبيعية، لا تكون البيئة مجرد مكان تدور فيه الأحداث، بل تصبح قوة فعالة تؤثر في مصائر الشخصيات وتُحدّد مسار الأحداث. كما أن النقد البيئي يهتم بتحليل الكيفية التي يُصور بها الأدب العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وما إذا كان الأدب يعزز الوعي البيئي أو يكرس استغلال الإنسان للطبيعة.

2_ نشأة النقد البيئي وتطوره :

يمكن إعادة أصول النقد البيئي إلى الأدب الرومانسي في القرن التاسع عشر؛ حيث ركز العديد من الشعراء والكتاب على الطبيعة بوصفها مصدرًا للإلهام الروحي والفكري. فمثلاً، نجد في أعمال ويليام وردزورث (William Wordsworth) ،ورالف والدو

[1]Buell, L. (1995). The Environmental Imagination: Thoreau, Nature Writing, and the Formation of American Culture. Harvard UniversityPress p 7.

إيمرسون(Ralph Waldo Emerson) اهتمامًا كبيرًا بالطبيعة باعتبارها ملاذًا روحيًا للإنسان. للورانس بويلر عام 1995، والذي يُعد أحد أهم الأعمال المؤسسة لهذا التيار.

ومرّ النقد البيئي بثلاث مراحل رئيسية:

أ_المرحلة الأولى: النقد البيئي الرومانسي

وتميزت هذه المرحلة بالاهتمام بتصوير الطبيعة بوصفها عنصرا جماليا وروحيا في الأدب. ففي الأدب الرومانسي، كانت الطبيعة تُصوَّر على أنها كيان مقدس يجب احترامه، كما يظهر في كتابات هنري ديفيد ثورو (Henry David Thoreau) وخاصةً في كتابه "والدن" (Walden, 1854)، الذي يُعد من أبرز النصوص التي تمهد للنقد البيئي.

ب_المرحلة الثانية: النقد البيئي الواقعي

بدأت هذه المرحلة في منتصف القرن العشرين، عندما أصبح النقاد أكثر اهتمامًا بالكيفية التي يعالج بها الأدب المشكلات البيئية الحقيقية. وهنا، برزت كتابات مثل "الربيع الصامت" (Silent Spring, 1962) للكاتبة راشيل كارسون (Rachel Carson)، والتي سلطت الضوء على تأثير التلوث البيئي والمبيدات الكيميائية على الطبيعة والحياة البرية.[1]

ج_المرحلة الثالثة: النقد البيئي المعاصر

اتسع نطاق النقد البيئي ليشمل تحليل العلاقة بين البيئة والسياسة والاقتصاد، وبدأ النقاد في التركيز على العدالة البيئية، حيث أصبحوا يدرسون كيفية تأثير التغيرات البيئية على الفئات المهمشة، ودور الاستعمار والرأسمالية في استغلال الموارد الطبيعية.

3_ الاتجاهات الحديثة في النقد البيئي :

ظهرت مع تطور النقد البيئي عدة اتجاهات حديثة تعكس تنوع القضايا التي يتناولها هذا المجال، ومن أبرزها:

[1] **Ibid, p 8.**

• **النقد الإيكولوجي العميق** :يركز هذا الاتجاه على فكرة أن الطبيعة ليست مجرد مورد للإنسان، بل كيان له قيمة ذاتية يجب احترامها. ويُعد الفيلسوف النرويجي أرني نيس (Arne Naess) من أبرز منظري هذا الاتجاه، حيث دعا إلى ضرورة تغيير نظرة الإنسان إلى الطبيعة، وعدم اعتبارها مجرد وسيلة لتلبية احتياجاته.

• **العدالة البيئية في الأدب** (Environmental Justice Literature):يُسلط هذا الاتجاه الضوء على القضايا البيئية التي تؤثر على الفئات المهمشة، مثل المجتمعات الفقيرة التي تعاني من التلوث والتغيرات المناخية. ومن الأمثلة على هذا النوع من الأدب روايات أورسولا لو غوين (Ursula K. Le Guin) وأوكتافيابتلر (Octavia Butler)،[1] التي تناقش القضايا البيئية من منظور اجتماعي وسياسي.

4_ تأثير النقد البيئي على الدراسات الأدبية :

أحدث النقد البيئي تحولًا كبيرًا في طريقة تحليل النصوص الأدبية، حيث أصبح الباحثون يولون اهتمامًا متزايدًا لدور الطبيعة في السرد، وكيفية تصوير العلاقة بين الإنسان والبيئة. ومن أبرز تأثيراته:

_إعادة قراءة النصوص الكلاسيكية من منظور بيئي، حيث أصبح النقاد يعيدون تفسير الأعمال الأدبية وفقًا لكيفية تمثيلها للطبيعة، كما هو الحال في قراءة رواية "موبي ديك" (Moby–Dick) لهيرمان ملفيل من منظور استغلال الإنسان للحياة البحرية.

_ظهور نوع أدبي جديد يُعرف بـ"الأدب البيئي" (Ecofiction)، وهو أدب يركز على القضايا البيئية مثل **التغير المناخي والكوارث الطبيعية، ويهدف إلى زيادة الوعي البيئي لدى القراء .**

وتبرز ملامح الأدب البيئي من خلال الرواية كونها تفتح المجال لتوظيف القضايا البيئية في عناصرها البنائية من زمن ومكان وشخصيات.

[1] صدقي، عبد الرحمن. البيئة وتأثيرها في الأدب, ص 210.

فيظهر الزمن في رواية الطريق لكورماك مكارثي مرحلة مابعد كارثة كبرى، وتتجلى ملامحه من خلال تغير المناخ، وانقراض الحياة النباتية والحيوانية. فيظهر الماضي ميتا لا نظر إليه، والحاضر واقع لا أمل لمستقبل فيه.

ويفسح المكان في الأدب البيئي المجال للتعبير عن صراع الإنسان مع بيئته، ففي رواية الطاعون لألبير كامو، تتحول مدينة وهران إلى مكان موبوء و مغلق، يقطع أفق التواصل بين الإنسان ومحيطه يقول:" **ونحن نعترف بأن المدينة في حد ذاتها قبيحة المنظر، ولا بد من بعض الوقت لكي يدرك المرء لماذا تختلف هذه المدينة عن غيرها من المدن التجارية الكثيرة في جميع أنحاء العالم، وذلك لمنظرها الهادئ إذ كيف يمكن أن نصور مدينة لا يوجد بها حمام ولا أشجار ولا حدائق"**[1]

ويتجلى الأدب البيئي أيضا في الوعي البيئي للشخصيات فنجد رواية: وزارة المستقبل لكيم ستانلي روبنسون، تمثل شخصيتها البطلة نموذجا للشخصية الواعية بيئيا، فنجدها تسعى لإنقاذ مستقبل الأرض من الكوارث المناخية.

_تأثيره على المناهج الأكاديمية، حيث بدأت الجامعات في تدريس النقد البيئي ضمن مقررات الأدب، مما يعكس أهميته المتزايدة.

و يُعد النقد البيئي من أهم الاتجاهات النقدية الحديثة، حيث يعيد النظر في علاقة الأدب بالبيئة، ويعزز الوعي بالقضايا البيئية الملحة. ومع استمرار الأزمات البيئية العالمية، يُتوقع أن يزداد تأثير هذا النقد، مما يدفع الأدب إلى تقديم رؤى جديدة حول علاقة الإنسان بالطبيعة.[2]

5_ المقاربات النقدية :

حلَّل النقاد حضورَ البيئة في الشعر الحديث عبر عدة مداخل:

– المنهج الأسطوري (جيلبير دوران): ربط عناصر الطبيعة بالأساطير القديمة.

[1] ألبيركامو، الطاعون، ترجمة كوثرعبد السلام البحيري،ط1، القاهرة،مصر، دارآفاق للنشروالتوزيع، 2019، ص7

[2] بكارتوفيق. مفاهيم النقد الأدبي، ص 203.

– المنهج الاجتماعي (لوسيان غولدمان): تفسير البيئة كنتاجٍ للصراعات الطبقية.

– الإيكوكريتيك (غريغ غارارد): دراسة النصوص من منظور التوعية البيئية.

ثالثا:حضور البيئة في الشعر العربي:

1_ حضور البيئة في الشعر الجاهلي:

حظيت البيئة الطبيعية بمكانة بارزة في الشعر الجاهلي؛ حيث استلهم الشعراء من مظاهرها المختلفة صورًا وأخيلة غنية، مما جعلها عنصرًا أساسيًا في تشكيل قصائدهم. وتتجلى هذه العلاقة الوثيقة بين الشاعر الجاهلي وبيئته في عدة محاور رئيسية:

أ_ وصف الأماكن والأطلال في الشعر الجاهلي:

كان المكان حاضرًا بقوة في الشعر الجاهلي، حيث اعتمد الشعراء على وصف المواقع الجغرافية التي شهدت أحداثًا مهمة في حياتهم، سواء أ كانت مواضع التقاء الحبيب، أم مناطق الصيد، أم ديار القبائل، أم المفاوز التي عبرها الشاعر في أسفاره.

و يُعدّ الوقوف على الأطلال من أكثر المواضيع شيوعًا في الشعر الجاهلي؛ إذ كان الشاعر يبدأ قصيدته غالبًا بذكر ديار المحبوبة التي هجرت، مستحضرًا ذكرياته العاطفية. ويرتبط هذا النوع من الوصف بحالة وجدانية خاصة، فالشاعر الجاهلي لا ينظر إلى المكان نظرة محايدة، بل هو يحمل مشاعر الحنين واللوعة، فتبدو الأطلال كأنها شاهدة على الماضي الجميل الذي لن يعود. ومن أشهر النماذج على ذلك مطلع معلقة امرئ القيسالتي يقول فيها :

قفَا نَبْك منْ ذكْرَىَ حَبيبٍ وَمَنْزلِ ****** بسقْط اللَوَى بَينَ الدَخُول فَحَومَل"[1]**

يعكس هذا التصوير تأمل الشاعر في الأماكن التي شهدت لحظات مهمة في حياته، مما يضفي على القصيدة طابعًا حزينًا ومؤثرًا؛حيث يقف الشاعر أمام أنقاض منزل محبوبته، محاولًا إحياء الذكريات. كما اهتم الشعراء بوصف الأماكن بدقة، مستخدمين أسماء

[1] ديوان امرئ القيس، دارصادر، بيروت، لبنان،ط2004،5، ص29

المواقع التي كانت مألوفة آنذاك، مثل "سقط اللوى"، "الدخول"،[1] و"حومل"، ليضفوا على القصيدة بعدًا واقعيًا ملموسًا. لم يكن وصف الأماكن مجرد عنصر زخرفي، بل كان يعكس طبيعة البيئة الصحراوية التي عاش فيها العرب؛ حيث لعبت الصحراء دورًا مركزيًا في تشكيل الهوية الشعرية لديهم. وعليه، فإن ارتباط الشاعر بالمكان لم يكن مجرد حنين، بل كان أيضًا تعبيرًا عن وعيه بمحيطه وقدرته على استحضاره بأسلوب فني مؤثر.

و كان جل الشعراء يقفون على أطلال ديار أحبائهم، يستحضرون ذكرياتهم،ويصفون ما تبقى من آثارها بدقة.

ب_ وصف الحيوانات في الشعر الجاهلي :

حظيت الحيوانات بمكانة بارزة في الشعر الجاهلي؛ حيث كانت جزءًا لا يتجزأ من حياة العرب اليومية، سواء في تنقلاتهم أو حروبهم أو صيدهم. كان الجمل، أو الناقة، الأكثر حضورًا في القصائد، نظرًا لكونه الرفيق الدائم للشاعر في ترحاله عبر الصحراء، إذ يصوره الشاعر بأوصاف دقيقة تعكس مدى أهميته، مثل قوته على التحمل،وسرعته في المسير، وقدرته على مقاومة الظروف القاسية.وقد وصف طرفة بن العبد ناقته قائلا :

وَبَرْكٍ هُجُود قَدْ أثارَتْ مَخافَتي ..... بَوادِيهَا، أمشي بعَضْبٍ مجرّد
فَمَرّت كَهاةٌ ذاتُ حَيْف جُلالَةٌ ..... عَقيلَةُ شَيخٍ كالوَبيلِ يلَنْدَدِ
يقولُ وَقَدْ تَرّ الوَظيفُ وسَاقُها ..... أَلَستَ تَرى أن قد أَتَيتَ بِمُؤيِدِ[2]

كما كان الفرس حاضرًا في الشعر الجاهلي، خاصة في سياق الفخر والحماسة؛ حيث يصف الشاعر سرعته ومهارته في الكر والفر خلال المعارك. ومن أبرز الأمثلة على ذلك، وصف امرئ القيس لفرسه الذي يشبهه بجلمود صخر متدحرج، مما يبرز قوة هذا الحيوان

[1] علي علي صبح، أثر البيئة في الشعر الجاهلي والأندلسي: دراسة وموازنة" ،مخطوط رسالة ماجستير، جامعة الأزهر،مصر، 2010, ص 137.

[2] نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي،دار الارشاد للطباعة والنشر و التوزيع ،القاهرة ،مصر،ط1، 1970، ص98

وأثره في الحروب.واحتلت الناقة والفرس مكانة مميزة في الشعر الجاهلي، حيث اعتمد عليهما الشاعر في ترحاله وتنقلاته.

قال امرؤ القيس عن فرسه، في معلقته:

وبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ ولِجَامُهُ وبَاتَ بِعَيْنِي قَائِماً غَيْرَ مُرْسَلِ[1]

ولم يقتصر وصف الحيوانات على الجمل والفرس، بل امتد ليشمل حيوانات أخرى مثل الذئب،[2] الذي غالبًا ما يُستحضر كمثال على القوة أو الرفقة في الليالي الموحشة، والصقر والنسر اللذين يرمزان للشجاعة والقوة. ولم يكن وصف الحيوانات مجرد سرد لمظاهرها الخارجية، بل كان يحمل دلالات ثقافية واجتماعية، حيث ارتبط كل حيوان بصفات معينة تعكس قيم القبيلة وأسلوب الحياة في الصحراء.

ج_ وصف الظواهر الطبيعية في الشعر الجاهلي :

تجلّت الطبيعة بكل تفاصيلها في الشعر الجاهلي، حيث كانت المصدر الأساسي للإلهام، نظرًا لكون الشاعر يعيش وسط بيئة صحراوية مليئة بالتحديات. وكان وصف الظواهر الطبيعية مثل المطر والسحاب والبرقوالسراب جزءًا لا يتجزأ من القصائد؛ حيث منحها الشعراء طابعًا فنيًا عميقًا، مستخدمين الصور الحسية والمجازات البلاغية. المطر، على سبيل المثال، لم يكن مجرد ظاهرة جوية، بل كان رمزًا للخير والخصب، وكان يُوصف بألفاظ تعبّر عن شدته ووقعه على الأرض، كما نجد في شعر امرئ القيس؛ الذي يشبّه المطر بالغيث الغزير الذي يروي الأرض العطشى. أما البرق، فقد ارتبط بمشاعر مختلطة بين الأمل والخوف، فهو يبشر بالمطر ولكنه قد يكون مرعبًا في قوته.والسراب،[3] بدوره، كان صورة رمزية تعكس خيبات الأمل والمكابدة في الصحراء، حيث يتوهم المسافر الماء لكنه لا يجد شيئًا. كل هذه الظواهر لم تكن مجرد أوصاف جمالية، بل كانت تعبيرًا عن تجربة

[1] ديوان امرئ القيس، ، ص59

[2] عبد الكريم الخضيرات، تشخيص البيئة الصامتة والبيئة المتحركة في الشعر الجاهلي" ، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2023, ص 345.

[3]- حميد رضا زهرة إي ،الطبيعة في الشعر الجاهلي، ديوان العرب، 2010, ص 90.

الشاعر الجاهلي مع بيئته القاسية؛حيث عبّرت عن صراعه مع الطبيعة ومحاولته استيعابها من خلال الصور الشعرية.

د_ وصف الليل في الشعر الجاهلي :

كان الليل من الظواهر الطبيعية التي حظيت بوصف دقيق في الشعر الجاهلي، حيث لم يكن مجرد فترة زمنية، بل كان تجربة شعورية يعيشها الشاعر بكل تفاصيلها. غالبًا ما ارتبط الليل في الشعر الجاهلي بالحزن والتأمل، إذ كان الشاعر يجد نفسه وحيدًا في الصحراء، يعاني من القلق والحنين.وعبّر الكثير من الشعراء عن معاناتهم مع طول الليل، كما في شعر امرئ القيس الذي يصوّره وكأنه يمتد بلا نهاية، مما يعكس معاناته العاطفية،ةيقول امرؤ القيس:

فَيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بكل مُغار الفتل شُدّت بيذبل[1]

كما ارتبط الليل بالخوف من المجهول، حيث تكثر الذئاب، وتبدو الأصوات الغامضة أكثر وضوحًا، مما يضفي عليه طابعًا دراميًا. في المقابل، كان لبعض الشعراء نظرة مختلفة؛ حيث رأوا في الليل فرصة للهدوء والتأمل. لم يكن الليل مجرد خلفية زمنية للأحداث، بل كان عنصرًا فعّالًا في تشكيل تجربة الشاعر وتصوير حالته النفسية.[2]

هـ_ وصف السراب في الشعر الجاهلي :

السراب من الظواهر التي تميّز البيئة الصحراوية، وقد حظي بوصف دقيق في الشعر الجاهلي لما له من أثر نفسي عميق على المسافر. وكان السراب و لا يزال رمزًا للخداع والوهم، حيث يرى المسافر ماءً في الأفق، لكنه عندما يقترب منه لا يجد شيئًا. واستخدم الشعراء هذه الصورة للتعبير عن خيبات الأمل، سواء في الحب أو في البحث عن المجد.و كثيرًا ما شبّه الشعراء أعداءهم بالسراب، في إشارة إلى أنهم مخادعون أو لا قيمة لهم في

[1] الزوزني، شرح المعلقات العشر، دار المدد للنشر والتوزيع، الجزائر، ط11 ،2012 ص25

[2] حسين علي جمعة، البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997 , ص 340.

الحقيقة. كما كان السراب رمزًا لصعوبة الحياة في الصحراء؛حيث يختبر الإنسان قدرته على الصبر والاحتمال.

و لفت السراب انتباه الشعراء في الصحراء، فراحوا يصفونه بدقة. يقول المرقش الأكبر:

وأَعْرَضَ أَعْلَام كَأَن رُؤوسَهَا رُؤوسُ جِبَالٍ فِي خَلِيجٍ تُغَامَسِ

إِذَا عَلِمَ خلْفَتَهُ يَهْتَدِي بِهِ بَدَا عِلْم فِي الآلِ أَغْبر طَامِس[1]

2_ حضور البيئة في شعر صدر الإسلام:

شهد شعر صدر الإسلام تحولاً جوهرياً في تصوير البيئة؛ حيث انتقل من النزعة الوصفية الجاهلية إلى رؤية أكثر ارتباطاً بالقيم الإسلامية الجديدة. لقد أصبحت العناصر البيئية وسيلة للتعبير عن المفاهيم الدينية والاجتماعية، مما أعطاها بُعداً دلالياً جديداً.

و حافظ الشعراء في صدر الإسلام على تصوير البيئة الصحراوية، لكن مع إضفاء دلالات جديدة. ونجد في شعر حسان بن ثابت وصفاً للصحاري كفضاء للتفكر في عظمة الخالق؛ حيث تتحول القسوة الظاهرية إلى آية من آيات الله. كما أن شعر كعب بن زهير في قصيدته "بانت سعاد" يقدم مثالاً على كيفية توظيف الصحراء كإطار للاعتراف بالهداية الإسلامية، حيث ترمز الضلالة في الصحراء إلى الضلالة الدينية.[2]

ونلاحظ من الناحية الفنية، أن الوصف المادي للصحراء تقلص لصالح البعد الرمزي، مما يعكس التحول في الرؤية الشعرية تحت تأثير الإسلام. وقد حلل إحسان عباس هذا الجانب في كتابه "تاريخ الأدب الأندلسي"، مشيراً إلى أن الشعراء استخدموا البيئة الصحراوية كجسر بين التراث الجاهلي والرؤية الإسلامية الجديدة.[3]

و برزت العناصر المائية في شعر صدر الإسلام كرموز للبركة والهداية الإلهية. ونجد في شعر العباس بن مرداس إشارات متكررة إلى الأمطار والأنهار، حيث تتحول إلى دلالات

---

[1] علي أحمد الحطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، الدار المصرية اللبنانية، مصر، لبنان، ط1، 2004، ص38

[2] الجاحظ، كتاب الحيوان، حققه ووضع حواشيه محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003, ص 453.

[3] المرجع نفسه ،ص 454.

على رحمة الله وفضله. كما أن قصائد المدح النبوي كثيراً ما ارتبطت بوصف المياه، كتعبير عن نقاء الرسالة المحمدية.

ويشير شوقي ضيف في كتابه "العصر الإسلامي" إلى أن التركيز على البيئة المائية يعكس التأثير القرآني الواضح، حيث وردت الإشارات إلى الماء كسبب للحياة في العديد من الآيات. وقد طور الشعراء هذا الاتجاه فجعلوا من الوصف المائي وسيلة للتعبير عن المفاهيم الروحية.[1]

ومن نماذج هذا اللون من الوصف الطريف قول نافع بن الأسود التميمي يصف ريف الري وطيب عيشه ومباهجه فيقول :

رَضِينَا بِرِيفِ الرَّي وَالرَّي بَلْدَةٌ لَهَا زِينَةٌ مِنْ عَيشِهَا المتَوَاتِرِ

لهَا نَشَزٌ فِي كُلِ آخِرِ لَيلَةٍ تَذْكَرُ أَعْرَاسَ المُلُوكِ الأَكَابِرِ[2]

وشهدت الأشجار والثمار في شعر صدر الإسلام تحولاً دلالياً مهماً. فبينما كانت النخلة في الشعر الجاهلي ترمز للكرم والوفاء، أصبحت في الشعر الإسلامي ترمز أيضاً للاستقامة والارتقاء الروحي. ونجد في شعر حسان بن ثابت أمثلة واضحة على هذا التحول، حيث يربط بين النخيل والقيم الإسلامية.[3]

يقول حسان بن ثابت:

وَلَو نَطَقَت رِحَالُ المَيسِ قَالَت ثَقِيف شَرَ مِن فَوقِ الرِّحَال[4]

و من الناحية الفنية، لاحظ النقاد مثل محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه "الأدب العربي في صدر الإسلام" أن الشعراء طوروا أساليب جديدة في وصف البيئة النباتية، حيث

[1] جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة قدمه وشرحه علي بوملجم، دارومكتبة الهلال، بيروت، لبنان الطبعة الأخيرة، 2000, ص 108.

[2] النعمان عبد المتعال القاضي، كتاب شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة،،مصر، ط1، 2005 ص125

[3] جليل دياب أبو جهة، الحداثة الشعرية بين الإبداع والتنظير، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995, ص 290.

[4] حسان بن ثابت، الديوان، دار صادر، بيروت،دط،دت، ص201

أصبح الوصف أكثر إيجازاً وأعمق دلالة، مع التركيز على الجوانب الرمزية بدلاً من التفاصيل الحسية المباشرة.

و برزتمع ظهور المدينة المنورة كمركز للدولة الإسلامية، البيئة الحضرية كموضوع شعري جديد. ونجد في شعر المدح النبوي وصفاً للمسجد النبوي والأسواق كرموز للحضارة الإسلامية الناشئة. كما أن شعر حسان بن ثابت في وصف غزوات الرسول يقدم صورة حية للتحولات البيئية المصاحبة للتحولات السياسية.

ويحلل طه حسين في كتابه "على هامش السيرة" هذا الجانب، مشيراً إلى أن الشعراء في صدر الإسلام أسهموا في تشكيل الصورة الذهنية للمدينة الإسلامية من خلال تركيزهم على عناصرها المميزة كالمساجد والمجالس العلمية.

ويشير شعر صدر الإسلام إلى تحول عميق في التعامل مع البيئة، حيث انتقل من الوصف الحسي إلى الرمزية الدينية. و استطاع الشعراء توظيف العناصر البيئية لتجسيد القيم الإسلامية الجديدة، مع الحفاظ على التراث الفني للشعر الجاهلي. وهذا التحول يعكس قدرة الأدب العربي على التجديد مع الاحتفاظ بأصالته.[1]

3_ حضور البيئة في الشعر الأموي:

يمثل الشعر الأموي مرحلة انتقالية مهمة في تطور الأدب العربي؛ حيث تعددت فيه الاتجاهات الشعرية وتنوعت الموضوعات. وقد برزت البيئة كعنصر أساسي في هذا الشعر، سواءً باعتبارها إطارا مكانيا للأحداث أو كرمز يحمل دلالات سياسية واجتماعية.

و حافظ الشعراء الأمويون على تصوير البيئة الصحراوية، و بالأخص في شعر الفخر والحماسة. نجد في شعر الفرزدق وجرير وصفاً دقيقاً للصحاري والفيافي، حيث تتحول إلى ساحة للمنافسة الشعرية وإثبات التفوق. كما أن شعراء مثل الكميت بن زيد الأسدي استخدموا الصحراء كرمز للعزة القبلية والتمسك بالأصول.

[1] حازم القرطاجني، منهج البلغاء وسراج الأدباء، دار العرب الإسلامي، بيروت،لبنان، 1981 ، ص 307.

ويلاحظ الباحث إحسان عباس في كتابه "تاريخ الشعر العربي قبل الإسلام" **أن الوصف الصحراوي في العصر الأموي أصبح أكثر تفصيلاً، مع التركيز على العناصر التي تخدم الغرض الشعري، سواء أكان فخراً أو هجاءً.**[1]

وبرزت البيئة الزراعية بوضوح في الشعر الأموي، خاصة في شعر الغزل والوصف. و نجد في شعر عمر بن أبي ربيعة وصفاً للحدائق والأنهار، التي أصبحت إطاراً للقاءات الغرامية. كما أن شعراء مثل جميل بثينة قدموا صوراً رقيقة للواحات والنخيل، التي ارتبطت بالحب العذري.

ويشير شوقي ضيف في كتابه "العصر الأموي" إلى أن هذا الاهتمام بالبيئة الزراعية يعكس التحول نحو الحياة الحضرية، حيث أصبحت المدن مثل دمشق وحلب مراكز ثقافية مهمة.[2]

و مع ازدهار الحياة الحضرية في العصر الأموي، ظهرت المدينة كفضاء شعري جديد. فنجد مثلافي شعر الأخطل وصفاً لدمشق وحياة القصور، التي مثلت مركز السلطة السياسية. كما أن شعر الهجاء السياسي، خاصة بين شعراء الأحزاب المتنافسة، كثيراً ما ارتبط بوصف البيئة الحضرية وتناقضاتها.

ويحلل عبد القادر القط في كتابه "الشعر السياسي في العصر الأموي" هذا الجانب، مشيراً إلى أن الشعراء استخدموا عناصر المدينة كرموز للصراع بين القديم والجديد، بين القيم القبلية ونظام الدولة المركزية.

كما ظهرت البيئة البحرية في شعر بعض الشعراء الأمويين، خاصة في المناطق الساحلية مثل الشام ومصر. فنجد مثلافي شعر الراعي النميري إشارات إلى السفن والأمواج، التي ترمز أحياناً إلى المخاطر وأحياناً أخرى إلى اتساع الأفق. كما أن شعراء المديح في البلاط الأموي استخدموا البحر كرمز لعظمة الخلفاء وسلطانهم.

---

[1] رجاء وحيد دويدري ،البيئة ومفهومها العلمي المعاصروعمقها الفكري المعاصر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004, ص 111.

[2] حيدر لازم، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010, ص 88.

وخلاصة القول أنالشعر الأموي كشف عن تنوع كبير في تصوير البيئة؛ حيث جمع بين تقاليد الشعر الجاهلي ورؤى العصر الجديد. ولقد استطاع الشعراء توظيف العناصر البيئية لخدمة أغراضهم الشعرية المتنوعة، من الفخر إلى الغزل إلى السياسة. وهذا التنوع يعكس التحولات الكبيرة التي شهدها المجتمع العربي في هذا العصر.

4 _ حضور البيئة في الشعر المعاصر :

يشكّل الاهتمام بالبيئة في الشعر المعاصر ظاهرة أدبية وفكرية لافتة، حيث أصبحت الطبيعة والبيئة مصدر إلهام للشعراء، كما تحوّلت إلى رمز يعبّر عن الهموم الإنسانية والاجتماعية والسياسية. وقد اتخذت العلاقة بين الشاعر والبيئة أبعادًا متعددة، من التغنّي بالجمال الطبيعي إلى التعبير عن الأزمات البيئية مثل التلوث والتصحّر والتغير المناخي.

أ_ البيئة باعتبارها مصدر إلهام وجمالية في الشعر المعاصر

لطالما كانت البيئة مصدرًا رئيسيًا للإبداع الشعري، حيث استخدم الشعراء المعاصرون عناصر الطبيعة كالجبال،والأنهار ،والأشجار، والحيوانات لتجسيد المشاعر الإنسانية هنا، يتحوّل العنصر الطبيعي إلى معلمٍ روحي، مما يعكس عمق العلاقة بين الذات الشاعرة والبيئة المحيطة. ويشير الناقد عبد الله الغذامي في كتابه *"الخطيئة والتكفير"* إلى أن "الشاعر المعاصر يعيد تشكيل الطبيعة لتصبح مرآةً تعكس حالته النفسية والفكرية[1]

ومن أمثلة ذلك ماجاء في شعر علي محمود طه :

وعَلَى شَاطِئ الغَدِيرِ وَرُودٌ

أَغْمَضَت عَينَيهَا لِمَطْلَعِ الفَجَرِ

وَسَرَى المَاءُ هَادِئًا فِي حَوَا

فِيهِ يُغَنِي مَابَينَ شَوكٍ وَصَخْرٍ

وَكَأَنَ النّجُومَ تَسْبَحُ فِيه

[1] الغذامي، عبد الله,الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية. دار التنوير،ط1، 1985. ص 288.

قُبُلاتٌ حَفَت بِحَالِم ثَغْرِ

وكَأَنَ الوُجُودَ بَذْرٌ مِن النّو

رِ عَلَى أُفُقِهِ المَلَائِكُ تَسري[1]

صور الشاعر البيئة كفضاء يتفاعل معه الشاعر فيكسبه صفات إنسانية تحقق دفقته الشعورية.

و في الشعر الفلسطيني خصوصًا، **تحوّلت البيئة إلى رمز للمقاومة والانتماء**؛ حيث وظّف شعراء مثل محمود درويش وسميح القاسم عناصر الطبيعة كشجرة الزيتون والبرتقال لتمثيل الصمود الفلسطيني. يقول محمود درويش في قصيدته "في المساء الأخير على هذه الأرض":

فِي المَسَاءِ الأَخِير عَلَى هَذِهِ الأَرْض نَقْطَعُ أَيَامَنَا

عَنْ شُجَيرَاتِنَا، نَعُدُ الضُّلُوعَ التّي سَوفَ نَحْمِلُهَا مَعَنَا

وَالضُّلُوع التِّي سَوفَ نَتْرُكُهَا، هَهُنَا...فِي المَسَاءِ الأَخِير

لَانُوَدِعُ شَيئًا، وَلَانَجِدُ الوَقْتَ كَي تَنْتَهِي...[2]

وتتحوّل الأرض إلى جزءٍ من الهوية، مما يُظهر كيف يمكن للبيئة أن تكون وسيلةً للتعبير عن الانتماء الوطني. ويوضح الناقد إدوارد سعيد في كتابه "الثقافة والإمبريالية" أن "الشعر الفلسطيني حوّل الجغرافيا إلى تاريخ، والطبيعة إلى سردية مقاومة".

و يُظهر الشاعر السوري محمد الماغوط في مجموعته *"حزن في ضوء القمر"* كيف يمكن للبيئة الحضرية أن تعكس الاغتراب الحديث:

وَأَنَا أَرْتَطِمُ فِي قَاعِ المَدِينَة

كَأَنَنِي مِنْ وَطَنٍ آخَر[3]

[1] ديوان علي محمود طه، قصيدة ميلاد شاعر، في موقع www.hindawi.org/books.

[2] محمود درويش، أحد عشر كوكبا، دار العودة، بيروت، لبنان، ط4 1992 ص:7

وتصبح المدينة بيئةً معادية، مما يعكس أزمة الإنسان المعاصر في ظل التحضّر المفرط فيغدوالشاعرغريبا في وطنه.

5_ تجليات البيئة في الشعر العربي الحديث :

تُصوَّر بيئة جنوب العراق (الأهواز، النخيل) في ديوان "أغاني المهاجر" لبدر شاكر السياب، كفردوسٍ مفقودٍ يعكس الحنين إلى الماضي. و يُظهر شعر عبد الوهاب البياتي (كما في "سفر الفقر والثورة") الطبيعةَ كشاهدٍ على المعاناة الإنسانية. **و**في شعر محمود درويش (خاصةً "كزهر اللوز أو أبعد")، تتحول المدنُ المهدمةُ (كفلسطين) إلى رمزٍ للمقاومة. [1]و يُبرزأدونيس في "كتاب القصائد الخمس" نشوء المدينة الحديثة وانفصالَ الإنسان عن جذوره الطبيعية.

كما–تُستخدم عناصرُ الطبيعة (كالأشجار والأنهار) كرموزٍ للتحرر في شعر نازك الملائكة (مثل قصيدة "الكوليرا"). وفي الشعر المغاربي (مثل شعر محمد بنيس)، تُصوَّر الصحراءُ كفضاءٍ للهوية والتمرد.

و مما سبق يمكن القول أن الشعر الحديث يعد انعكاسًا للتحولات الفكرية والاجتماعية والبيئية التي شهدها العالم في القرنين الأخيرين. كما تطور مفهوم البيئة من الوصف التقليدي (كالمشاهد الرعوية) إلى رموزٍ معقدةٍ تعكس:

1. الصراع بين الإنسان والطبيعة (كما في شعر أدونيس).
2. القضايا البيئية المعاصرة (مثل التلوث والتغير المناخي في شعر محمود درويش).
3. البيئة كفضاءٍ روحي (عند سعدي يوسف، حيث تُرمز الطبيعة إلى الهوية والذاكرة).

[3]**محمد الماغوط، الآثار الكاملة، دار العودة، بيروت،لبنان، ط1981،2 ص:27**

[1]**عباس إحسان. تاريخ الأدب الأندلسي. دار صادر، بيروت ،لبنان،1993 , ص 457.**

رابعا: حضور البيئة في النثر :

1_ حضور البيئة في النثر الجاهلي:

يُعد النثر الجاهلي مرآةً صادقةً لعصر ما قبل الإسلام، حيث يعكس تفاعل الإنسان العربي مع بيئته بكل مكوناتها. وعلى الرغم من ندرة النصوص النثرية التي وصلت إلينا من تلك الفترة مقارنةً بالشعر، إلا أنها تقدم لنا صورةً غنيةً عن العلاقة الجدلية بين الإنسان وبيئته. تبحث هذه الدراسة في تجليات البيئة في النثر الجاهلي بأنواعه المختلفة، مع تحليل لدلالاتها الثقافية والاجتماعية.

أ_البيئة في الأمثال الجاهلية

تمثل الأمثال الجاهلية أصدق تعبير عن تفاعل العربي مع بيئته:

– يظهر مثل "أجرأ من ذئب على غنم" العلاقة بين الحيوانات المفترسة والقطعان.

– يعكس مثل "أصبر من جمل" تكيف الجمل مع قسوة البيئة الصحراوية،وحلل طه حسين في كتابه "الأدب الجاهلي" هذه الأمثال، مشيراً إلى أنها تشكل موسوعةً مصغرةً للحياة اليومية في البيئة العربية القديمة.

ب_الخطابة والبيئة:

اتسمت الخطابة الجاهلية باستحضار قوي للعناصر البيئية:فقد استخدمت الخنساء في رثائها لأخيها صقراً تشبيهه بالليل الأسود[1].ووصف قس بن ساعدة في خطبته الشهيرة الأرض بأنها "مهدٌ مهولٌ وفراشٌ منشور"،كما استحضر زهير بن أبي سلمى في خطبه صور القبائل التي "تسكن الرمل والآكام".

و مما يذكر أن "الخطيب الجاهلي كان يستدعي البيئة ليس كخلفية فقط، بل كشاهدٍ على صدق أقواله.

[1] دليلة مكسح ،البيئة في الشعر الجزائري المعاصر مقاربة بنيوية تكوينية و ايكولوجية، علي بن زيد للطباعة والنشر ، بسكرة، الجزائر، ط1، 2016, ص 301.

كما كانت البيئة حاضرة في القصص والحكايات الشعبية؛فظهرت بوضوح في الحكايات الجاهلية،في:

- قصة عنترة وعبلة تقدم وصفاً دقيقاً للواحات ومواقع الماء.
- حكاية الملك ضمار تعكس مخاطر السفر في الصحراء.
- أسطورة الغول تربط بين البيئة الليلية والمخاوف البشرية.

و يربأحد الدارسين أن "هذه القصص كانت بمثابة خرائط ثقافية للبيئة المحيطة".[1]

كما كانت البيئة حاضرة في السجع والكهانة،واتخذت عبارات الكهان طابعاً بيئياً مميزاً،مثل:

- استخدام نباتات مثل "السمر" و"الطلح" في نبوءاتهم.
- تشبيه الأحداث بالعواصف الرملية والأمطار الغزيرة.
- الربط بين الظواهر الطبيعية ومصائر البشر[2].

و يشير جواد علي في "المفصل في تاريخ العرب" إلى أن "لغة الكهان كانت لغةً طقسيةً بامتياز، تعكس خشية الإنسان من قوى الطبيعة".

ومما سبق يمكن القول أن النثر الجاهلي تحدث عن علاقة عضوية بين الإنسان وبيئته، حيث تتحول العناصر الطبيعية إلى رموز ثقافية تحمل قيماً اجتماعية ودلالات وجودية. لقد استطاع العربي الجاهلي أن يصوغ من بيئته القاسية نظاماً لغوياً وأدبياً يعكس تكيفه معها وتأثره بها.[3]

[1] إبراهيم، صنع الله.،تقنيات السرد الروائي. دار المستقبل العربي،2003 ص 190.

[2] المرجع نفسه ص 191.

[3] المرجع نفسه ص 192.

2_ حضور البيئة في نثر صدر الإسلام

كان للبيئة حضورا في صدر الإسلام،**وبالأخصفي فن الخطابة،** حيث اهتم الخطباء بوصف الطبيعة واستخدامها كوسيلة لتقريب المفاهيم الدينية للجمهور. على سبيل المثال، في خطب الرسول محمد ﷺ والصحابة، نجد إشارات متكررة إلى عناصر الطبيعة مثل السماء، الأرض، الجبال، الأنهار، والنباتات. فقد استخدم النبي ﷺ البيئة في تشبيهاته، كقوله: "إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا..." (رواه البخاري)، مما يوضح كيف استُخدمت الظواهر البيئية في النثر لتوضيح القيم الإسلامية.

كما **ظهرت البيئة في الرسائل النثرية:**[1]في صدر الإسلام لم تكن تخلو الرسائل من الإشارة إلى البيئة، خاصة في سياق التأكيد على قيم الاستدامة والحفاظ على الموارد. فمثلًا، في رسائل الخلفاء الراشدين، نجد توصيات بعدم تدمير المزروعات خلال الحروب، كما جاء في وصية أبي بكر الصديق لجيش أسامة: "لا تقطعوا شجرة، ولا تقتلوا بهيمة إلا للأكل..."، مما يدل على أن النظرة الإسلامية للبيئة كانت قائمة على التوازن والرحمة تجاه الكائنات الحية.

كما حضرت البيئة في الأمثال والحكم النثرية؛بحيثكانت الأمثال والحكم في صدر الإسلام تعتمد على عناصر بيئية مستمدة من الحياة اليومية. فالبادية، حيث نشأ العرب، أثرت على تصويرهم للأحداث والمواقف باستخدام الطبيعة، مثل تشبيه الأعداء بالذئاب، وتشبيه السخاء بالغيث. ومن الأمثلة الشهيرة: "المرء بأصغريه: قلبه ولسانه"، حيث يرتبط اللسان بالكلام المؤثر الذي كان يوصف أحيانًا بأنه مثل الماء الجاري في تأثيره وحيويته.[2]

3_ حضور البيئة في النثر الأموي:

شهد النثر في العصر الأموي تطوراً ملحوظاً بتنوع أشكاله ووظائفه، حيث أصبحت البيئة عنصراً أساسياً في تشكيل الخطاب النثري.و تميز هذا العصر بظهور فنون نثرية جديدة كالرسائل الديوانية وأدب الحيوان، إلى جانب استمرار فنون الخطابة والوصف.

[1]علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1968, ص 401.

[2]Warren, K ,Ecofeminis : Women, Culture, Nature. Indiana UniversityPress,1997 p 123.

وسنحاول إظهار تجليات البيئة في النثر الأموي من خلال أشكاله الرئيسية، مع تحليل لدور العناصر الطبيعية في تشكيل المضامين الفنية والفكرية.

و اتخذت الخطابة في العصر الأموي أبعاداً بيئية جديدة:ففي الخطب السياسية: استخدم الخطباء مثل الحجاج بن يوسف الثقفي مثلا صور العواصف والزلازل كتعبير عن القوة السياسية.وفي الخطب الدينية: وظف الحسن البصري مثلا عناصر مثل المطر والشمس في مواعظه كرموز للهداية الإلهية.وفي الخطب الحربية: وصف المهلب بن أبي صفرة مثلا ساحات القتال بوصف جغرافي دقيق يشمل الجبال والوديان.[1]

و يذكر عبد الله الطيب في "المرشد إلى فهم أشعار العرب" أن "الخطيب الأموي استثمر البيئة لخدمة أغراضه الإقناعية بشكل غير مسبوق".

كما برزت العناصر البيئية في الرسائل الديوانية والإدارية،والرسائل السياسية:فقد وصف عبد الحميد الكاتب في مراسلاته حدود الدولة باستخدام معالم طبيعية كالأنهار والجبال،كما كانت حاضرة في الرسائل الشخصية: فمثلا احتوت مراسلات عمر بن عبد العزيز على تشبيهات مستمدة من الحياة الزراعية،كما تضمن الوصف الجغرافي تقارير البريد الأموي وصفاً دقيقاً للمسالك والطرق بين المدن.

ويشير حسين نصار في "النثر الفني في القرن الرابع الهجري" إلى أن "الديوان الأموي طور لغة نثرية جديدة غنية بالاستعارات البيئية".وقدمثلها**أدب الحيوان والطبيعة**،وظهر هذا الفن النثري الجديد متأثراً بالبيئة،و قد ألف فيه كتبا كثيرة ،نذكر منها:

– كتاب علم الحيوان للأصمعي: قدم وصفاً علمياً دقيقاً لحيوانات البيئة العربية.[2]

– النوادر الحيوانية: ربط فيه ابن المقفع في "كليلة ودمنة" بين سلوك الحيوانات وطبائع البشر.

– الاستعارات الحيوانية: استخدمت في الرسائل الديوانية للتعبير عن العلاقات السياسية.

[1] رجاء وحيد دويدري، البيئة ومفهومها العلمي المعاصروعمقها الفكري المعاصر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004 , ص 309.

[2] زويل،أحمد، اللغة العلمية والأدبية. دار الشروق،القاهرة ،مصر،2005, ص 377.

ويذكر شوقي ضيف في "العصر الأموي" أن أدب الحيوان الأموي يمثل أول محاولة منهجية لدراسة البيئة العربية.

و فيما يخص تطور فن الوصف في العصر الأموي:فقد كانت البيئة حاضرة فيه من خلال:

- وصف المدن: مثل وصف دمشق في نثر الأخطل.
- وصف الحدائق: في كتابات بعض الكتاب عن قصور الخلفاء.
- وصف الأسفار: في رحلات التجار والرسل.

و يرى عبد الرحمن بدوي في "موسوعة الجغرافيين العرب" أن "النثر الوصفي الأموي وضع الأسس للرحلات الأدبية في العصور اللاحقة".

و مما سبق يمكن القول أن النثر الأموي مثل مرحلة تأسيسية في توظيف البيئة فنياً، حيث تحولت العناصر الطبيعية من مجرد خلفية وصفية إلى مكون أساسي في البنية الفكرية والفنية للنصوص.و لقد استطاع الكتاب الأمويون تطوير لغة نثرية غنية بالصور البيئية، تتناسب مع اتساع رقعة الدولة وتنوع ثقافاتها.[1]

4_البيئة في التعاليم الإسلامية النثرية

لم تكن البيئة مجرد عنصر جمالي في النثر، بل كانت حاضرة في التعاليم الأخلاقية والدينية، حيث أكدت النصوص النثرية على أهمية النظافة وحماية الموارد. ومن ذلك، قول النبي ﷺ: "إماطة الأذى عن الطريق صدقة"، وهو مبدأ يعكس الوعي البيئي في الخطاب الإسلامي المبكر.

ويعد توظيف البيئة في النثر الأدبي الإسلامي مظهرا من مظاهر الوعي الحضاري والديني الذي ينظر إلى الكون على أنه تجل لأسماء الله وصفاته، وبهذا تكون العالقة بين الإنسان والبيئة في هذا الأدب قائمة على التأمل والتسخير والبعد عن الفساد والإسراف. وقد

[1] صالح صلاح ، سرد المواضيع الأنا والآخر عبر اللغة السردية مركز الثقافة العربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003, ص 140.

تجلى هذا التوظيف في خطب الخلفاء والوصايا والمواعظ، حيث مثلت الطبيعة وسيلة بلاغية وأخلاقية لتوصيل القيم الإسلامية، ففي خطبة للإمام علي بن أبي طالب يصف الكون قائلا: أنشأ السحاب الثقال، وأجرى الرياح العذاب، وأرسى الجبال الشمخ، وفجر الأنهار الدفاق ،إذ لم توظف الطبيعة هنا توظيفا جماليا فقط وإنما استحضرت بوصفها دليلا من دلائل قدرة الله وعظمة خلقه، ما يحث المتلقي على التدبر و التفكير و التأمل في الكون و عظمة خالقه.

و يتجلى حضور البيئة أيضا في وصية أبي بكر الصديق لجيش أسامة بن زيد، إذ قال: لا تقتلوا امرأة ولا صبيا، ولا شيخا كبيرا،ولا تقطعوا شجرا مثمرا ،ولا تخربوا عامرا". فيقدم البعد البيئي بوصفه جزءا من أخلاقيات الحرب ما يدل على أن الإسلام ظل حريصا على الإصلاح في الأرض والبعد عن فسادها في أقصى ظروف شدة.

يتجاوز توظيف البيئة في النثر الإسلامي البعد الجمالي إلى بعد قيمي فتتداخل الطبيعة مع العقيدة لتشكل رؤية شمولية تعلي من قيمة الإنسان والكون في آن واحد.

و يمكن القول إن البيئة لم تكن مجرد خلفية طبيعية في النثر الإسلامي، بل كانت جزءًا أساسيًا من التصوير الأدبي والتعاليم الدينية والتشريعات الأخلاقية.و انعكست العلاقة الوثيقة بين الإنسان والطبيعة في الخطب، والرسائل والأمثال والتعاليم الإسلامية ،ومما يعكس إدراكًا مبكرًا لأهمية البيئة في حياة المسلمين.[1]

و أولى الدين الإسلامي للبيئة عناية خاصة لوعيه بأهميتها، وإدراكه بأن صلاحها صلاح للفرد، وفسادها مرض له ولكل الكائنات الحية، لما يسببه التلوث من انكسار السلاسل الغذائية ومنه انقطاع سيرورة الحياة الطبيعية. فأورد العديد من الآيات التي تحثنا على التدبر والتأمل في الكون.

يقول تعالى في محكم تنزيله:"**ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلبَحرَ لِتَجرِىَ ٱلفُلكُ فِيهِ بِأَمرِهِۦ وَلِتَبتَغُوا مِن فَضلِهِۦ وَلَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**(12)**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِيٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِيٱلأَرضِ جَمِيعا**

[1] خفاجي محمد عبد المنعم، الأدب العربي في صدر الإسلام. دار النهضة العربية، القاهرة ،مصر،ط1،1982ص 180.

مِّنهُ إِنَّ فِيذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لقَومٍ يتَفَكَّرُونَ (13) [1]سخر الخالق للإنسان هذا الكون وأمره بحمايته، فبرزت عناية القرآن بالبيئة واضحة المعالم، إذ سميت سوره بعناصر البيئة من حيوان ونبات وجماد وظواهر كونية وأماكن مثل: سورة العنكبوت، البقرة، النمل، التين، الرعد، الشمس، الحديد، الحجر، البلد، الكهف وغيرها كثير.

ويشير هذا لأهمية هذه العناصر التي تشكل مفهوما للبيئة في حياة الفرد، وعلى العلاقة التكاملية بين الإنسان وبيئته.

ونهانا الله عز وجل عن الإفساد في الأرض بقوله:"**لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**"[2]

ويندرج حفظ البيئة ضمن مقصد حفظ النفس، أين يقف الدين الإسلامي حريصا على حفظ هذا المقصد لغاية استمرارية الحياة التي تعد العبادة غايتها الأسمى. فيقول عز وجل: "**مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**"[3]

لقد سبق الإسلام غيره في وعيه بقيمة البيئة، ومنع تخريبها وإفسادها، حيث يقول سبحانه عز وجل:"وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَوَٱلنَّسْلَوَٱللَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ"[4]

تظهر هذه الآيات سعي الدين الإسلامي لتحقيق التوازن والأمن البيئي لعلاقته المباشرة باستقرار الإنسان، فالرسول صلى الله عليه وسلم نفسه لعن العابث بعلامات الأرض وحدودها، وكافأ المعتني بها بالصدقة حتى بأبسط الطرق مثل إماطة الأذى حيث يقول صلى الله عليه وسلم:" **يُمِيطُ الأَذَى عَنْ الطَرِيقِ صَدَقَةَ**"[5] كما جعله من شعب الإيمان لقوله

[1]سورة الجاثية، الآية 12_13، رواية ورش، عن نافع، دار الغد الجديد، للطباعة والنشروالتوزيع، ط1، 2012

[2]سورة الأعراف، الآية 56،.

[3]سورة المائدة،الآية 32،.

[4]سورة البقرة، الآية 205.

[5]البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب إماطة الأذى، رقم 2334، ج2، ص871

صلى الله عليه وسلم:" **الإيمَان بِضْع وسِتُون شُعْبَة فَأَفْضَاهَا قَوْل لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَة الأَذَى عَن الطَرِيقِ، والحَيَاء شُعْبَة مِن الإِيمَان**" [1]

نهى الشرع أيضا عن تلويث الماء الذي هو أساس الحياة بالنهي عن التبول وإلقاء القاذورات والنفايات في غير أماكنها لما فيه من تشويه لجمال البيئة التي جعلها الله مكان يستريح فيه الناس، وأذية للإنسان بحد ذاته. ودعا في المقابل إلى التشجير والنظافة والتطهير ومنع من قطع الأشجار حتى في الحروب.فكان للإسلام فضل السبق في وضع الأحكام التي تخص البيئة وتجعل الإنسان يستفيد منها من غير أضرار، وكانت غاية الإسلام الكبرى حفظ مقاصد الشريعة الكلية من النفس والنسل والمال والعقل والدين، فبيئة نظيفة تعكس علاقة سوية بين الإنسان ومحيطه.

5_ حضور البيئة في النثر الحديث:

برزت البيئة في النثر الحديث بشكل لافت، إذ عبرت عن الوعي الاجتماعي والسياسي فارتبطت بالهوية والانتماء والقلق الوجودي. وفي ظل التحولات الكبرى التي شهدها العصر الحديث مثل التصنيع والتحضر تحولت البيئة من عنصر جمالي إلى قضية أدبية وإنسانية.

وتغيرت نظرة الأدباء إلى البيئة من مجرد كيان ساكن إلى كائن حي متفاعل و متأثر بالصراع الإنساني، وهو ما يتجلى في نثر غسان كنفاني أين تلعب البيئة دورا رمزيا مكثفا خصوصا في أعماله التي تتناول اللجوء الفلسطيني. مثل قصة أرض البرتقال الحزين فتتحول الألفاظ إلى دلالات عميقة أساسها الفقد والحنين فتصور البيئة كشاهد على المأساة الإنسانية.

ويظهر النثر الحديث وعيا متقدما بالبيئة بوصفها كيانا فاعلا في السرد محمل بالدلالات السياسية والاجتماعية والرمزية. ليكون مرآة تعكس مأساة الإنسان وتبدلاته الداخلية والخارجية.

6_ البيئة في النثر المعاصر:

[1] مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان و أفضلها وأدناها، رقم 35، ج1، ص63

يُظهر النثر المعاصر وعياً متنامياً بالبيئة، بحيث لم يعد فيه المكان مجرد إطار سردي، بل أصبح فاعلاً رئيساً في تشكيل الأحداث والشخصيات. يعكس هذا الاهتمام تحولات عميقة في الرؤية الأدبية المعاصرة التي تزاوج بين الهم الإنساني والقلق البيئي. و تبرز هذه الدراسة أهم تجليات البيئة في النثر المعاصر من خلال تحليل نماذج ممثلة لأنواع نثرية مختلفة.

1_ أدب الرحلة وتأملات المكان

يشهد أدب الرحلة المعاصر تحولاً من السرد الوصفي إلى التأمل الفلسفي في المكان. ففي كتاب "رحلة إلى مكة" لمحمد حسين هيكل، تتحول الصحراء إلى مختبر لاختبار قدرات الإنسان. بينما يقدم أدونيس في "الكتاب" قراءة شعرية للبيئة العربية بوصفها نصوصاً ثقافية تحتاج إلى تأويل. يتميز هذا التوظيف بـ:

- الجمع بين الوصف الجغرافي الدقيق والتأمل الوجودي
- توظيف الذاكرة الشخصية في قراءة البيئة[1]

2 المقالة الأدبية والخطاب البيئي

تطورت المقالة الأدبية لتصبح منبراً للدفاع عن البيئة. ففي مقالات جبرا إبراهيم جبرا، نجد تحليلاً عميقاً لتأثير العمران على النفس البشرية. بينما تقدم كتابات عبد الرحمن منيف النقدية رؤية لعلاقة النفط بالتحولات الاجتماعية في الخليج.و يتميز هذا الخطاب بـ:

- الجمع بين التحليل العلمي والتعبير الأدبي
- نقد السياسات البيئية بأدوات سردية
- الربط بين الأزمات البيئية والأزمات الإنسانية

3_ السيرة الذاتية وذاكرة المكان

[1] المرجع السابق ،ص 141.

تحولت السير الذاتية المعاصرة إلى وثائق لتاريخ الأماكن. ففي "خارج المكان" لإدوارد سعيد، تصبح المدن التي عاش فيها شاهدة على تشكل هويته. بينما تقدم "أوراق" لصنع الله إبراهيم سجلاً دقيقاً لتغير الريف المصري. و يتميز هذا التوظيف بـ:

- توثيق العلاقة العاطفية بين الروائي وأماكن الطفولة
- رصد التحولات البيئية عبر السرد الزمني
- استخدام المكان كأداة لفهم الذات.[1]

4_تطور حضور البيئة في الرواية الحديثة والمعاصرة:

شهدت الرواية العربية الحديثة والمعاصرة تطورا على مستوى البنية والمضمون، وأسهمت في التعبير عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي شهدها العالم العربي، وحظيت البيئة باهتمام متزايد، فلم تعد مجرد خلفية للأحداث، وإنما أصبحت عنصرا يتحكم في الشخصيات ويؤثر على مسارات السرد.ويمكن تتبع تطور حضور البيئة في الرواية العربية من بداياتها التي وظفت فيها بوصفها خلفية مكانية وزمنية مثل رواية ما وراء النهر لطه حسين فنجد حضورا بيئيا يتمثل أساسا في وصف القصر والقرية باعتباره وسيلة لإظهار الفروق الاجتماعية. فكان توظيف البيئة لتحديد الهوية الاجتماعية للشخصيات لكنها ليست فاعلا سرديا.

وبدأت البيئة تأخذ بعدا جديدا مع انتشار التحرر والعدالة الاجتماعية.ونشيرإلىرواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ نموذجا، فقد أصبحت البيئة فيها فضاء للصراع الطبقي والسياسي وكشفت عن معاناة الفلاحين، فكان توظيف البيئة هنا بوصفها عنصرا فاضحا للبنية الاجتماعية.

واتجه عدد من الروائيين العرب إلى تأمل الذات والهوية، بعد الهزائم السياسية والانكسارات القومية،فبرزت البيئة بوصفها فضاء نفسيا. ففي موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح 1966 أصبحت البيئة معبرة عن التمزق الثقافي، وصدى التوتر بين الشرق

[1] جليل دياب أبو جهة، الحداثة الشعرية بين الإبداع والتنظير، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995 , ص 250.

والغرب من خلال شخصية السوداني مصطفى سعيد، الذي يذهب إلى لندن ليكمل دراسته فيها، فاستوعب عقله حضارة الغرب ،وكان يستغل أصوله الشرقية ليعطي صورة ساحرة عن المجتمع الريفي السوداني.

وتطور التعامل مع عنصر البيئة ابتداء من الثمانينات بشكل أكثر رمزية، لاسيما في أعمال إبراهيم الكوني في رواية نزيف الحجر؛ حيث يجسد عناصر الطبيعة الصحراوية بوصفها فضاء سياحيا، يحمل أيقونات مادية وأخرى مجردة دفعت الروائي إلى استثمار المعارف التاريخية المتعلقة بقراءة الآثار الحجرية في صحراء التاسيلي، لإنجاز نص تخييلي يقوم على وصف المكان المهدد بالإهمال من قبل أصحابه، كما يتعرض إلى عمليات النهب والتدمير من قبل السياح الأجانب، لذلك " يتبني الكوني في مجمل رواياته رؤية تمجد الطبيعة الصحراوية والحياة البدائية، وتدين بالمقابل الحضارة المعاصرة، وتعري الأساس الذي بنيت عليه، وهو حب المال، وتدمير الطبيعة".[1]

وتظهر البيئة كضحية للتحولات الاقتصادية والسياسية، في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف تصور الحياة مع بداية اكتشاف النفط، والتحولات المتسارعة التي حلت بقرى ومدن الجزيرة العربية بسبب النفط. ويصبح هنا فقدان المكان بمثابة فقدان للهوية أمام طوفان الحدثة. وتمثل رواية ريح الجنوب لعبد الحميد هدوقة أيضا تمثيلا للصراع القائم بين الشرائح الاجتماعية الفقيرة من جهة، وقوى الاستدمار من جهة أخرى.ونضيف أيضا رواية الأرض والدم لمولود فرعون، نموذجا آخر على استخدام البيئة كعنصر مؤثر على بنيات السرد أين تجلى تأثير قرية إغيل نزمان بشكل واضح على الشخصيات.

يمكن القول في ختام هذا الفصل، إن دراسة العلاقة بين البيئة والأدب تُعدُّ مجالًا خصبًا للبحث والتحليل، حيث تكشف النصوص الأدبية عن رؤى عميقة للتفاعل الإنساني مع الطبيعة، وتُبرز تأثير التغيرات البيئية في الثقافة والمجتمع. من خلال ما قدّمه الباحثون في هذا الحقل المعرفي، يتّضح أن الأدب ليس مجرد مرآة تعكس الواقع البيئي، بل أداة فاعلة في تشكيل الوعي البيئي ودعوة إلى الحفاظ على التوازن الطبيعي.

---

[1] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، سوريا، 2002، ص218

الفصل الثاني: مظاهر حضور البيئة في رواية مملكة الزيوان

تمهيد

1_ البيئة والزمن الروائي

2_البيئة والشخصية الروائية.

3_البيئة والفضاء الروائي.

تمهيد :

يُعدّ عنصر البيئة الروائية من المرتكزات البنيوية الأساسية في العمل السردي، إذ لا تقتصر وظيفته على تحديد الإطار المكاني والزماني للأحداث، بل يتجاوز ذلك ليُصبح عنصراً فعّالاً في تشكيل دلالات الرواية، وتوجيه مسارات الشخصيات، وتكثيف الرمزية، وإنتاج التوتر الدرامي. ومن بين الأعمال السردية التي أولت للبيئة عناية سردية وجمالية خاصة، نجد رواية "مملكة الزيوان" للروائي الصديق حاج أحمد، وهي عمل أدبي يندرج ضمن أدب ما بعد الربيع العربي.

وتحضر البيئة في هذه الرواية بكافة تجلياتها: الطبيعية والجغرافية، والاجتماعية، والنفسية، والسياسية، حيث تتكامل هذه الأبعاد لتخلق فضاء خانقًا، يعكس اضطراب العالم الروائي بكل تناقضاته وانغلاقه وعبثيته.

وإذا كانت الرواية تنبني على سردية الخوف والعجز السياسي والاجتماعي، فإن هذا الخوف يتجسد في المكان، ويتغلغل في تفاصيل الطبيعة، حيث الصحراء الممتدة، والحر اللاهب، والفضاءات المغلقة، والقرى المنفية، والمدن التي تتحول إلى معتقلات مفتوحة. كل هذه المكونات تشكل بيئة سردية خانقة، تتداخل فيها الجغرافيا مع القهر، والواقع مع الرمزية. وتعمل البيئة في هذه الرواية على إنتاج معنى مزدوج: فهي في ظاهرها تصف عالمًا مألوفًا، وفي باطنها تكشف عن واقع مريض، تُهيمن عليه السلطة والمراقبة، ويتشظى فيه الإنسان بين انتمائه وهويته الضائعة.

و يصبحمن هذا المنطلق تحليل مظاهر حضور البيئة في مملكة الزيوان مدخلًا ضروريًا لفهم عمق الخطاب السردي، وتفكيك رمزيته، وتحديد كيفية تفاعل الشخصيات مع محيطها، في ظل نظام شمولي يمنع الحلم، ويصادر الحياة. وسنحاول من خلال هذا التحليل الوقوف عند مظاهر حضور البيئة التي استثمرها الروائي، مثل البيئة الطبيعية والجغرافية، والبيئة السياسية، والاجتماعية، والنفسية، مع تقديم أمثلة دالة من الرواية، وتحليلها في ضوء السياق العام الذي يحكم بنية النص، قصد إبراز كيفية توظيف البيئة بوصفها أداة تعبيرية وجمالية، لا تقل أهمية عن الشخصيات ،أو اللغة ،أو الأحداث في صناعة المعنى وإثارة القارئ.

و لا يتيح قراءة هذه الرواية فهم الواقع الذي تعكسه فقط، بل تطرح أيضًا أسئلة فلسفية وإنسانية كبرى حول السلطة ،والحرية،والكرامة، والهوية. لذلك، لذلك سنسعى لتحليل هذا النص الروائي، لما يتضمنه من مواقف نقدية ورؤى فكرية، ولما يحمله من أبعاد رمزية غنية يمكن تفكيكها عبر مناهج متعددة. ومن هنا تأتي أهمية هذا الفصل، الذي سيحاول الكشف عن علاقة البيئة بالرواية،وكيفية تأثيرها على المكان،والزمن، والشخصيات.

1_البيئة و المكان الروائي :

يحظى المكان في الروايات بأهمية بالغة فهو مكون أساسي وحيوي، تجري فيه الأحداث وتتحرك ضمنهالشخصيات،فالمكان مرآة تعكس صورتهم،وتكشف عن أبعادهم النفسية والاجتماعية.

و يقوم المكانبدورفعال،فلايمكن حدوث فعل خارج الإطار المكاني: "**المكان أو الأمكنة هي التي تقع فيها المواقف والأحداث المعروفة...ومقتضيات السرد**"[1].وبالتالي فهو الحلبة التي تتصاعد فيها الأحداث و تسير بوتيرات مختلفة .

أولا:البيئة الجغرافية (الطبيعية) في "مملكة الزيوان":

تلعب البيئة الجغرافية الطبيعية دورًا جوهريًا في بناء العالم الروائي لرواية مملكة الزيوان، إذ تتجلى في ملامح الصحراء الكبرى التي تمثّل الخلفية المكانية الثابتة التي تدور فيها أغلب الأحداث، وتُؤثّر مباشرة في تصرفات الشخصيات، وفي تشكّل أبعاد الصراع. وقد استطاع الروائي الصديق حاج أحمد أن يستثمر هذه البيئة الصحراوية بكل ما تحمله من خصائص مناخية وطبيعية وجغرافية لتكون أكثر من مجرد ديكور، بل تتحوّل إلى فضاء وجودي يختزل معاناة الفرد والجماعة.

ويتسم الفضاء الطبيعي في الرواية بطابع صحراوي قاحل تطغى عليه ملامح الجفاف،والحر ،والرياح المحملة بالغبار لتجسد واقعا ميتافيزيقيا يعاني فيه الإنسان من

[1] جيرالد برنس، قاموس السرديات ،ترجمة: السيد امام، دار ميريت للنشر و المعلومات، القاهرة،مصر، 2003، ص 182

اختناق وجودي ،ويظهر ذلك في قول الروائي: "**إلى كل الذين ظلمتهم الجغرافيا بتضاريسها العبثية المقرفة...، لكنهم آمنوا بنبوة الرمل..**".[1]

وجسد هذا الفضاء الإحباط والعجز والانغلاق ماينعكس على نفسية الشخصيات وتصرفاتها فكل من يسكن في هذا الفضاء يعيش في عزلة داخلية[2].

وجاء السياق مشحونا بالقسوة التي تختص بها الصحراء بشمسها وحرارتها الملتهبة أين لا مكان لظل الأشجار. فتكون الأرض مقابلة للسماء بدرجة جد مرتفعة؛أين تعجز الأقدام على ملامسة الرمال."**بينما كانت الشمس قد تدحرجت من كديتها العليا نحو السفلى حتى لا يبقى بينها وبين أرض القصر الوسطاني، سوى قامتين بقامة العراف المعتدلة، ومادعاها لأن تربط جميع أهل القصر من انسهم و دوابهم عن الحركة طوعا أو كرها** "[3]

ينطق هذا المقطع بالرتابة و العجز المنبثق من ذات واعية بالمكان و متعايشة معه، هذه البيئة تسلب من الفرد شعوره بالاستقرار أو الانتماء ،وتدفعه للانكفاء على ذاته أو الانصياع للقهر،وبالتالي نجد الروائي صديق حاج أحمد حمل هذه الطبيعة معاني رمزية ،فالقحط يقابل الفقر الفكري والجفاف مقابل غياب الحركة و الرياح تحمل الخوف و الرقابة لا الأمل.

ويبسط الصديق حاج أحمد في رواية مملكة الزيوان مكان الأحداث بين بداية الرواية ونهايتها فيركز على المكان باعتباره الحلقة الأساسية ؛أين تتجلى المدينة التواتية بعاداتها و تقاليدها ،وتضاريسها ،ومختلف جوانب الحياة فيها. وسنعمل على تحديد الأمكنة المفتوحة والمغلقة داخل الرواية علها تساعدنا على تجلية ملامح البيئة فيها:

[1] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان،دارفيسرا،أدرار،الجزائر، 2013،ص 3.

[2] بوشارب نبيلة، الفضاء الروائي بين المتخيل والرمز في رواية مملكة الزيوان، مجلة دراسات أدبية وفكرية، جامعة قسنطينة، 2020، ص467.

[3] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص6

ثانيا: الأماكن المفتوحة والمغلقة

1_ الأماكن المفتوحة:يقصدبها هنا انفتاح الحيزالمكاني المفتوح بفضاءات محدودة وغبر محدودة كالبحر و الغابة، و الصحراء، و الشوارع،و الجسور، وهي بدورها توحي بالحرية و الانطلاق والانسجام مع الذات[1].فهي تلمح للتحرر من كل قيد، وتتسم بالاتساع،وكثرة الحركة والحيوية،والتواصل البشري.وفي هذه الرواية التي بين أيدينا جاءت الأماكن المفتوحة على هذا النحو:

أ_القصر:

دارت مجمل أحداث القصة في القصر الطيني الواقع بمدينة توات بأدرار، والذي حظي بحصة الأسد في السرد ،ومرد ذلك العلاقة الوثيقة بين الراوي وماضيه المرتبط بالقصر، ونظرا لهذه العلاقة فقد ظهر الراوي داريا بل ملما بكل زوايا القصر ،ويمكن أن نستدل على ذلك: "**وقتها تكون التحولات بالقصر الوسطاني قد شارفت على نهايتها ،ولم تعد تضاريسها الجديدة بخافية على أحد، إلا من كان غافلا أو عليه خمار فوق عينيه أو صمم بسمعه أو غشاوة على قلبه ثلاثون سنة ،يا سادتي مرت على قصرنا الوسطاني بتوات اختزلت فيها سؤالا واحدا كيف كان قصري وكيف أضحى**"[2].

و تظهر ضمن هذا المقطع مختلف التغيرات الطارئة على القصر بين ماضيه و حاضره بعنوان "بداية مستلفة من النهاية" .كما يظهر القصر كإرث جمع الأصالة والتمسك بالعادات والتقاليد، لذا يبدو الروائيمتعطشا للعودة لماضيه قبل أن تزحف الموضة فتنهش من أصالته، وتغير من ثقافة حملها لسنين طوال، لكن ذكراه ظلت رسومات حية في أذهان شخصيات المملكة على الرغم من التلاشي ،وهذا ماظهر في العودة السريعة لشخصية الغيواني لزيارة القصر بعد مغادرته له بسبب ظروفه المادية: "**ولم يدم غياب الغيواني عن القصر طويلا في هذه المرة أكثر من ثلاث سنوات بالتمام و الكمال**"[3].

---

[1] عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، منشورات السهل، الجزائر، ط1، 2009 ص148

[2] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص 13

[3] المصدرنفسه، ص111

و وصف الروائي القصر وهو يخطو أول خطواته التي عدها بمثابة التأشيرة لتخطي حدود القصر و التعرف على العالم الخارجي؛ حيث يقول: "**كان تعلم المشي بالنسبة لي بمثابة تأشيرة التي أشرت جواز سفري لاكتشاف العالم الخارجي ولما قدر لي مغادرة هذا البيت وبالتالي تخطي عتبته الملساء وبابه الخشبي راجلا دون حمل**"[1].ليتوسع في وصف أزقته الضيقة والواسعة وأسواره المثقوبة واستعمالاتها: "**خرجت من ذلك الزقاق الضيق، قابلني زقاق واسع مسقف يدور بالقصبة من الداخل على جهاتها الأربع مشكلا ما يشبه الحزام يدعى في اللهجة القالقاليةأسرداير كان سكان القصبة يستعملونه للتبريد في زمن الصيف لوجود الثقوب في سوره**[2].

يصور الراوي بطريقة فتوغرافية تقرب الخلفية من ذهن القارئ ،فيتحول القارئ من زائر عبر السطور لهذا القصر إلى عراف بكل هندسته البنائية ،وهو تعريف بطريقة غير مباشرة لطريقة البناء المعماري الصحراوي وأساليب حماية القصور في حالات الحرب أيضا بتقنية الخنادق أو الأحفير، مما لون القصر في المملكة الزيوانية بالتيمة الصحراوية هندسة و تفكيرا.

ب_مكان أعيان القصر:

يجلس في هذا المكان أصحاب السلطة التشريعية والتنفيذية لمناقشة أوضاع القصر ومستجداته كما تفرض هنا العقوبات، فهو بمثابة السلطة التي تسن القوانين، وتسطر القواعد: "**كان مجلس لجماعة القصر مع مسؤولها سيد الحاج عبد السلام ففيه تشرع العقوبات وتدرس الملمات وتستحضر المهمات**[3].

و تملك جماعة القصر صلاحيات التنظيم وتسيير شؤون القصر وفق مبدأ التضامن والتعاضد الاجتماعيالذي يتمظهر خاصة في تقليد التويزة، وجاء ذكره: "**هناك أتويزة في**

[1] المصدر السابق، ص49

[2] المصدر نفسه، ص50

[3] المصدر نفسه، ص66

قفارة القصر التحتاني غدا"[1].فلم تكن سلطة ديكتاتورية متعسفة بل كانت في خدمة مصالح الجميع.

ج_أماكن التعلم:

يوجه الطفل في الصحراء إلى الكتاتيبكونها مركزا علميا متخصصا في تحفيظ القرآن، وتعليم مختلف العلوم الشرعية واللغوية.

وتصف مملكة الزيوان طريقة التعلم في الكتاتيب انطلاقا من تعلم الحروف الأبجدية نحو تعلم العلوم، وحفظ القرآن كل ذلك يتماشى مع سن الطفل: "**بدأ لنا سيدنا بالسور القصار صعودا وكان ذلك عبر مراحل تذكر كعند وصول سورة الأعلى، و (عم)، والرحمن، (وإنا فتحنا)، ويس"**[2]

ويدل ذلك على تسيير حفظ القرآن لختمه، وكسر رهبة السور الطوال بدءا بتعويد الطفل على القراءة والحفظ حتى يستسيغ وتسهل الطريقة، ويتدرج مع السور مضيفا عددا من الآيات،وغيرها فتكون بذلك الكتاتيب بمثابة الراعي الأول لتنشئة الطفل الصحراوي. قبل دخوله المدرسة الابتدائية التي لم تكن محددة بسن معين للالتحاق بها، والتي كانت ممقوتة من قبل أهالي القصر الذين يرونها عادة مخلفة من فرنسا،ومضيعة للوقت الذي لابد أن يستغل في خدمة البساتين وهو ما ذكره الروائي في روايته هذه.

وتطرق الراوي إلى كل المحطات التعليمية التي مر بها المرابط والمشاكل التي كانت تعترض سبيله من انعدام الأقسام النهائية كقسم سنة الخامسة الذي أوجب عليهم التنقل إلى بلدية القصور الوسطانية لمتابعة دراستهم في ذلك القسم[3].

د_أدرار:

يصف الراوي الأماكن الرئيسية الموجودة في هذه المدينة: "**إذا مابلغنا وسط المدينة حيث استقبلتنا أدرار بأبوابها الأربعة المقوسة ،وذاك عهدها اثنان من جهة الشرق هما**

[1] المصدر السابق ص69

[2] المصدر نفسه، ص68

[3] ينظر المصدر نفسه، ص 78

باب رقان لجهة الجنوب، وهو الباب الذي دخلنا منه ،وباب تميمون لجهة الجنوب، وباب بشار لجهة الشمال، حصرت بين تلك الأبواب الأربعة المقوسة ساحة ماسينيسا الفسيحة الخضراء"[1].

وينطلق إلى الجزائر العاصمة كفضاء جديد يتجلى في المتن يشير إلى الحرية بالنسبة لمرابط بعد خروجه من رحمة العادات و التقاليد لدراسة تخصص التاريخ في الجامعة.

هـ_السباخ والبساتين:

هو إرث تناقلته الأجيال التواتيةيكشف سبب سعادة الأهالي الصحراوية بالمولود الذكر حفاظا على هذه البساتين والسباخ والعناية لها ونيلا لميراثها.وقد كثر الحديث عنها في الرواية نظرا لأهميتها في بيئتها الصحراوية وتعددت أسماء السباخ لتتمايز،فمنها السبخة الفوقانية والتحتانية والكبيرة والبور. وهو ماكشف عن زوايا وخبايا العالم الصحراوي.

و_تونس:وظفت تونس في الرواية كمكان للمنفى، وكانت لشخصية الغيواني التواتي ظروفا مادية دفعت به لطريق الهجرة بحثا عن الاستقرار النفسي و المادي متحملا بذلك مشاق السفر، وغربة الوطن، والنأي عن الأهل والخلان فكانت تونس ملاذا لكسب الرزق ،وتحسين الظروف المادية ،وظهرت كوجهة هجرة."**ماحدا بسكان قصرنا إلا أن يتخذوا من هذا العام تاريخا لأحداثهم،ومعلما بارزا من معالمهم الزمنية المنحوتة التي لا تنسى ،وهو الأمر الذي جعل الكثرة من أهل زيواننا يهاجرون لتونس في ذلك العام الحزين بحثا وطلبا للرزق".[2]**

2_الأماكن المغلقة:

المكان المغلق: "هو المكان الذي يمثل الانسداد والانغلاق.كما يتصف بالتحديد هذا لا ينفي انفتاحه على أمكنة أخرى[3].

[1] المصدر السابق،ص 88

[2] المصدر نفسه، ص 102

[3] كلثوم، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال،مجلة الأثر، العدد4، ماي 2005، ص 141

و تتميز الأماكن المغلقة بالمحدودية ،وتتضارب فيه المشاعر بين الشعور بالراحة أو الشعور بالخوف، وقد تنوعت الأماكن المغلقة في الرواية التي بين أيدينا من صورة: البيت والبئر، وحفرة الرابطة:

أ_ البيت:

يمثل البيت الملاذ الآمن والملجأ الدافئ للذكريات الجميلة والخطوات المتعثرة واللعثمات الأولى، وكر للأسرار وساتر للعيوب.فالبيت مكان مغلق أكثر أمانا، وحماية لأي فرد وبؤرة تسترجع الذكريات.

وأولى الروائي أهميةكبيرة لهذا المكان منذ أن وضعته أمه من رحمها في علاقة دامت تسعة أشهر في الحفرة الرملية أين مزج ألم المخاض بدموع الفرح بمولود ذكر،فقدوصف البيت بأدق تفاصيله وجزئياته في الصحراء: "**بيد أن مايمكنني ذكره من أمر هذه اللحظة الأولى التي شممت فيها هواء أرض الزيوان وتنسم فيها وجهي رائحة الطين والتافزة أني كدت أسبح في تلك الحفرة الرملية التي أعدوها لمخاض والدتي لولا عناية الله بأبناء القصور من أمثالي (...) ومسالك ولادتها العسيرة**[1].

وكان هذا بمثابة بزوغ فجر جديد على وقع بكاء الرضيع مرابط.كما وصف الراوي في مملكة الزيوان بيت طفولته :"**بيتنا سقيفيا، مستطيلا، طينيا، سقف سقيفاته بخشب جذع النخل الذي تتخلله الكرانيف المرصوفة و المتحالفة بين تلك الجذوع النخلية بابه خشبي صنع من جذع النخل المملسة بإبراء القادوم**[2].

كان وصفا دقيقا لهندسة البيوت الصحراوية بكامل أجزائها."**قد سطح في زاوية من تلك الرحبة المعراة مكان يدعى لمنيصب كما بني في زاوية منها وكر للحمام تعلوها الغرفة(...) كما بنيت في وسط حائط السطح مطمورة لادخار التمر**"[3].سلط الراوي الضوء في وصف البيت على الأسلوب المعماري،وامتد لثلاث صفحات وعلى ذكر الغرفة،فهي

[1] الصيق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص 16

[2] المصدرنفسه، ص35

[3] المصدرنفسه، ص 35

مكان مغلق انزوى فيه مرابط بأحلامه بعد رؤيته لمحبوبته أميزار أين اختلى بمخيلته والعطر الباريسي العالق بأنفه من رائحة ابنة الغيواني.

كما وصف الراوي أيضا بيت الطالب أيقش الذي يتسم بالرهبة و الخوف :"**قد كان يسكن لوحده مع شياطينه و عفاريته**"[1].فالبيت فضاء مغلق ملاذ للراحة والأحلام تارة.وملاذ الخوف و الرهبة تارة أخرى ومرد ذلك طقوس قاطنيه.

ب_ البئر:

يوفر الماء الحياة لكل الكائنات الحية للإنسان والحيوان و النبات، وفي بيئة صحرواية قاحلة يعد الماء ومضة نور في سرداب عاتم،وتبرز أهمية البئر في رواية مملكة الزيوان في تجنب حصار الأعداء"**(...) ماجعل للمهندسين الأوائل للقصبة يحفرون في كل بيت منها بئرا للماء يكون زادا لهم وكفاية عن الخارج المحاصر من الغزاة** [2].كان هناك وعي بقيمة الآبار في ذهنية شخصيات القصر لخبرتهم في مواجهة الغزاةواحتياجا لهم للماء خصوصا تحت الشمس التي لاترحم،فانتشرت الآبار في كل مكان داخل البيوت ،وبين الفقاقير والسباخ سعيا للتكيف مع البيئة الصحراوية القاسية.

ج_ مكان حفرة الرابطة:وهي أول مكان ذكر في الرواية يقصده فئة معينة من الصحراويين الذين يبحثون عن سبل يحققون فيها أمانيهم ،وهو ماساهم في الحفاظ على أسطورية المكان عبر الأجيال،وتمثل حفرة الرابطة المكان الأسطوري، الذي يحقق المبتغيات جلها؛ فوصف الروائي عجائبيتها من الداخل وهندستها على لسان مرابط"**كان الرمل الأصفر المفترش لفم الحفرة يرسم تضاريس أرجل وآثار زحف الحشرات التي غدت أو راحت بفم الحفرة بما فيها العقارب والخنافس والفئران والقطط والثعابين ما أوثقة يقينا من عدم وجود داخل الحفرة أو خارج منها ولو لزمن معين**"[3].

و يقول في موضع آخر"**توجد حفرة الرابطة التي تخرج إليها المرأة المتوفى عنها زوجها بعد انقضاء عدتها، وهي حفرة شبه عمبقة من عمقها الأفقي تشبه تماما مدخل**

[1] المصدر السابق، ص 120

[2] المصدر نفسه، ص50

[3] المصدر نفسه، ص 6

كهف أو مغارة مخيفة"[1].وهو مايدل عن عدم اقتراب أهالي المكان منها بسبب الرهبة التي تنبثق منها وتناقل أسطوريتها عبر الأجيال.

أوحت الأمكنة الموظفة في الرواية المفتوحة والمغلقة إلى عمق تأثير البيئة الصحراوية على المكان. حيث تحكمت في الهندسة البنائية للقصر التواتي، وأخضعت أعيانه إلى ظروفها فأرغمتهم على تحقيق التكيف من خلال تجهيز العدة للغزاة بتشييد الخنادق.

و كان للبيئة الصحراوية رأي مجحف تجاه دور التعلم من دون الكتاتيب باعتبارها إرث فرنسي و دخيل على ثقافة المنطقة فجاءت أماكن التعلم محدودة الاتساع، تظهر في هندام متواضع جدا، صور فيه القسم التعليمي بمنظر تليد، مناضده ممتهنة، وكراسيه بالية، هذا بالنسبة للابتدائية.

وتواصلت الرؤية المستصغرة للتعليم من قبل البيئة الصحراوية مع كامل الأطوار الدراسية فهي بيئة تخشى العلم لتمسك أجيالها بالأساطير والشعوذة كتوظيف بيت الطالب أيقش والحفرة الرابطة التي كانت مقصد أهل المنطقة لتحقيق رغباتهم وأمانيهم. وكذلك الاعتماد على الحياة المهنية. وهو ما يتجلى في إنصافها للسباخ والبساتين والآبار، وتهللها بالمولود الذكر؛ لأن مستقبله مرهون بخدمة الأرض. فكان التقوقع البيئي بارزا في توظيف الأمكنة. فلم يكن مجرد إقحام عشوائي، إنما كان مدروسا، وخاضعا لتأثير البيئة.

ثالثا: آليات وصف المكان:

يعرف الوصف بأنه:"**عرض وتقديم الأشياء والكائنات والوقائع والحوادث**"[2]،ويعمل الوصف عمل البنزين في تحريك السرد لطالماكانا وجهين لعملة واحدة، فيرتكز الوصف على إحدى أرقى مستويات اللغة فتحيك الوصف في خضم السرد لتكون لغة ناسجة.ويذهب عبد الملك مرتاض: " **إلى أن وظيفة هذا الشكل اللغوي الذي يطلق عليه لغة النسيج السردي تتجسد في تقديم الشخصيات ووصف المناظر والأحبار و الأهواء**

[1] المصدر السابق، ص5.

[2] جيرالند برنس، المصطلح السردي، ،ص58.

ولايمكنالاستغناء عنها في أي عمل روائي[1].فهي تعمل على استحضار الماضي إلى الواقع الخالي و الانطلاق بالحاضر نحو مستقبل تحكمه التوقعات.

وتلعب اللغة في الرواية دور وسيط يقوم بتثبيت مفردات الدلالة وبناء هيكل المعنى الكلي للنص وتنظيم عمليات التصوير والرمز دون أن تصل من التبلور والتشويق إلى الدرجة التي يحل فيها محل عناصر السرد الأخرى دون أن تصبح الكلمة المتوجهة هي منطلق الطاقة التصويرية وأنماط الإبداع[2].

واعتمد الصديق حاج أحمد الوصف فنال في هذه الرواية حصة معتبرة تماشيا مع الحبكة السردية فصورت الصحراء كفضاء شامل اندرجت تحته أمكنة عديدة نذكر منها:

أ_حفرة الرابطة: إذ شبهها بكهف أو مغارة تظهر بمنظر مخيف يبعث بالرهبة والخوف بسبب ماتحيط به من ثياب بالية وتمائم كتانية وجلدية في قوله:"**توجد حفرة الرابطة التي تخرج إليها المرأة المتوفى عنها زوجها بعد انقضاء عدتها هي حفرة شبه عميقة من عمقها الأفقي تشبه تماما مدخل كهف أو مغارة مخيفة المكان يفرض على المار كيفما كان أن يلبس عباءة الرهبة المختلطة بالخوف**[3]،فحقق الوصف هنا عملية التصور الذهني للرواية ويبسط للقارئ ذهنية البيئة الصحروية في تمسكها بالخرافات والشعوذة والتمائم لتحقيق الأمنيات، ومقتها للعلم والتعلم. كما تعطينا الحفرة الرابطة هنا ميزة البيئة الصحراوية التي تتسم بالرهبة نظرا لشساعة المكان وسكونه ليلا ونهارا، فسمة الغرابة التي اتسمت بها الحفرة الرابطة مردها غرابة البيئة الصحراوية عينها.

ب_المشور: ينتقل الزيواني من مكان لآخر في هذا العمل الروائي ليعرفنا بمنطقته،فيقف ليصف المشور، وهو مكان يحتمي فيه الحراس: "**يقابلك المشور المقابل لباب القصبة الكبير، والوحيد من الداخل صنع هذا الباب من أخشاب جذع النخيل المتراصة المتينة**

[1] عائشة الحكمي، تعالق الرواية والسيرة الذاتية، شرعية جوبيتر الأكاديمية، الرياض ،السعودية، 2010 ص:670

[2] ينظر، صلاح صالح، سرديات الروائية العربيةالمعاصرة ،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،مصر، ط1، 2003 ص25.

[3] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان ص: 15.

ثبتت فيه من الخلف ثلاثة أحزمة حديدية مشدودة بمسامير حديدية تقليدية"[1].ومرد ذلك يقظة الصحراويين التي اكتسبوها من بيئتهم وفق باع طويل من الممارسة وتجريب أساليب التكيف.

ج_أسردایر: وهي كلمة زناتية تعني الزقاق الدائر؛حيثيقول:"**فإذاماخرجت من ذلك الزقاق الضيق قابلني زقاق واسع مسقف يدور بالقصبة من الداخل على جهاتها الأربع مشكلا مايشبه الحزام يدعى في اللهجة القلقاليةأسردایر**[2].وهو ما يدل على الخبرة المكتسبة من البيئة في التأقلم مع ظروف الحياة الصعبة التي تحكمها الصحراء.

د_القسمالطوبي: وظف الصديق حاج أحمد المصطلحات الهندسية (المربع، الضلع، الطول) ووصف المناضد العتيقة المستعملة. كل هذا بعد تولي الدولة الجزائرية سياسة مجانية وإجبارية التعليم، حيث يقول: "**نثرت به مناضد عتيقة متهالكة مستعملة قد رسمت عليها خرائط غير مقصودة نظرا لتناثر الحبر المداد عليها"**[3].

ويعود ذلك كما أشرنا سابقا إلى تشجيع البيئة الصحراوية على العمل في البساتين و السباخ وإهمال المدارس لأن الوافدين إليها فئة قليلة من الذكور ليس إلا. لسلطوية البيئة على الذهنية السائدة والتي تكن حقد لكل ما هو فرنسي بسبب المعاناة الطويلة في الفترة الاستعمارية.

هـ_أدرار:يصور الصديق حاج أحمد بوصف دقيق وبصورة واقعية حقيقية بأسمائها مدينة أدرار؛ حيث يقول: "**حتى استقبلتنا أدرار بأبوابها الأربعة المقوسة وذاك عهدها اثنان من جهة الشرق هما باب رقان لجهة الجنوب والباب ذاته الذي دخلنا منه وباب تميمون لجهة الشمال** [4].

وشهدت مدينة أدرار انتقال الزيواني في فترة الدراسة، من مرحلة الابتدائية إلى المتوسطة، التي صادف فيها أستاذ التاريخ جاسم العراقي،والذي تأثر به و درس نفس

[1] المصدر السابق، ص50

[2] المصدر نفسه ص 50

[3] المصدر نفسه، ص 73

[4] المصدر نفسه، ص 88

تخصصه. وعاد ليصف مدينة توات بتيمة البساطة (الإنارة بالقناديل، الأفرشة البالية) لينطلق إلى الجزائر العاصمة بتيمة التحرر بعيدا عن القيود الصحراوية.فحاول بسط مقارنة بين كل من توات وأدرار و الجزائر، فوصف عادات وتقاليد كل منطقة على حدا في مقابلتها مع المناطق الأخرى فبين الذهنيات المتغلغلة في كل منطقة، تقريبا للصورة من ذهن المتلقي،ودل على ولع الزيواني بأرضه، واعتزازه بأصالته، وتمسكه بتاريخه، ومعتقداته، فتجلت صورة البيئة الصحراوية بشكل واضح للمتلقي.

رابعا: مكونات المكان:

تنفتح الرواية على عوالم متعددة على غير العالم الإنساني مثل عالم الحيوان، وعالم النبات، وقد رسمت للقارئ الأبعاد الجغرافية للبيئة الصحراوية، وكشفت عن طبيعة مناخها،من خلال أنواع النباتات الموجودة في الرواية بالإضافة إلى طبيعة مجتمعها وثقافتهم، من خلال بعض الحيوانات التي كانت تستعمل للاستفادة منها في حياتهم اليومية. ونذكر:

أ_ عالم الحيوان:

تعيش في البيئة الصحراوية أنواع مختلفة من الحيوانات،وقد ذكر الراوي العديد منها (الجمال، و الأغنام،و بعض الزواحف والطيور).

و يروي الصديق حاج أحمد عن أمه قائلا: **وشكات معدودات من حليبها وأمرت قامو بأن تضعه فوق سطح البيت بعد الغروب لكي يشربه طائر يسمى عندنا سحيرة الليل (طائر الخفاش) وأنجو من رضعتها القاتلة.**[1]

تعيش الخفافيش في المناطق الصخرية الصحراوية، ولأنها تصيب الصبيان بالأمراض، تقوم الأم الصحراوية بهذه العادة التي ذكرها الصديق حاج أحمد للنجاة من الخفاش.

[1] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص23

وذكر الراوي الحمار أيضا باعتباره وسيلة مهمة في البيئة الصحراوية، نظر لأن الطرق فيها غير معبدة، وكثيرا ما يحتاجون لنقل المياه من الآبار إلى أماكن عملهم أو منازلهم.وذكر الراوي أيضا الجمل، والذي يسمى بسفينة الصحراء، أي أنه حيوان من بيئة صحراوية، له القدرة على تحمل قسوة الطبيعة من حر و عطش ،يقول "**حيث يقطع البعير المسافات الطويلة من صحراء الطوارق الملثمين، نزولا في الوديان، وصعودا في عرق الرمل، وما اشد حمله وقتذاك، وهو محمل بألواح الملح ، حيث يغوص نعل رجليه فيه ، أشد ما تغوص رجل الإنسان الزيواني في الطين الأزردابي**[1].

وقد أشار الراوي أيضا إلى الجراد،وهو من الحشرات المضرة التي كانت تعيش بالمنطقة،وسمي العام الذي ولد فيه المرابط بعام الجراد، حيث يقول الراوي: "**في ذلك الصباح الربيعي،من عام يدعى عند أهل قصورنا بعام الجراد**" [2].

وجاء ذكر العقارب،والخنافس،والفئران، والقطط،والثعابين في أثناء حديثه عن حفرة الرابطة المخيفة. وهي كلها حيوانات ترتبط بالبيئة الصحراوية لظلامها، ورملها، وشساعتها وما إلى ذلك.

ب_ عالم النباتات:

تحمل الصحراء بعدا دلاليا سمته البارزة هي القسوة، والعدمية، والموت، لكن الإنسان الصحراوي استطاع أن يحقق تكيفه مع بيئته بخلق جو من الجمالية في الواحات خصوصا.

و يمكننا أن نشير إلى أول نبات وظفه الراوي انطلاقا من العنوان هو الزيوان نفسه، و امتد ذكره في صفحات السرد لارتباطه بالبيئة الصحراوية ، كما يعد مصدرا لصنع الأطباق.والزيوان يرتبط أساسا بالنخيل الذي يزين البيئة الصحراوية،ويظلل بعضا من مساحاتها ليستريح تحتها الصحراوي تحت شمس لاترحم،وتتعد فوائد النخيل في الصحراء فهي قوت للأغنام، والبهائم، و تستعمل أيضا لتسقيف البيوت، وصنع الأبواب .

[1] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص 20

[2] المصدر نفسه، ص 17

وذكرت بجانب الزيوان الطماطم أيضا والتي ذاع صيتها على حساب محصول القمح :" **وما إن تم توصيل الكهرباء لأغلبية السكان عندنا بالقصر، حتى وفد وهل عليهم وافد جديد، وقد كان هذا الوافد الجديد، حقا مدعاة للاحتفاء بهأكثر من دخول الكهرباء، وتمثل ذلك في تجربة زراعة الطماطم الباكورية** [1].

و تعد الطماطم من النباتات المناسبة للبيئة الصحراوية ،وقد أحسن الروائي توظيفها في أحداث الرواية كتجربة جديدة أقامها مهندس فلسطيني وعلمها للتواتيين.

كان العالم الحيواني والنباتي في الرواية معبرين جدا عن البيئة الصحراوية و قلبها النابض، ودلا على معرفة الراوي ببيئته و خبرته في تواصله معها؛فجاءت الحيوانات و النباتات دقيقة و خادمة للرواية.

خامسا: علاقة المكان بالزمن:

مما لاشك فيه أن الزمن والشخصيات والمكان عناصر رئيسية في بنية الرواية،فهي تتحد لتكون لحمة واحدة محركة للعمل السردي.فالأحداث في الرواية تحركها الشخصيات التي بدورها تتحرك وفق إطار زمني ومكاني محدد وهذا مايجعلنا نقول إن المكان يتداخل في الشخصيات والزمن."**إذا كان الزمن والمكان الروائيين هما أحد المكونين الرئيسيين في بناء الرواية فهما يدخلان في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى لسرد الشخصيات والأحداث والرؤيا السردية**[2].

و تتجلى في رواية مملكة الزيوان علاقة المكان بالزمن بوصفها علاقة جدلية، تكشف عن مدى التداخل بين التحولات المكانية والتموجات الزمنية، التي تهيمن على السياق السردي،فالرواية تصور المكان بوصفه فضاء يتأثر بالزمن، ويتحول معه لأن التحولات السياسية و الاجتماعية التي شهدها المكان لم تأت بمعزل عن الزمن بل، كانت تتدحرج في دولاب التراكمات عبر مراحل متعاقبة،وهومايتجلى في تغيير البنية الاجتماعية،حيث يقول:"**يكون القصر عندها قد لبس ما أراد الله أن يلبس من فنون الحضارة وأذاب معظم**

[1] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص 90

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ، المركز الثقافي العربي للطباعة، ط1، 1990 ص29

طينه وانطمست أغلب عاداته وأعرافه وغارت عين فقارته وبدأ نجم نخيل سباخه في الأفول ماحدا بعرجونه الأخضر أن يستحيل زيوانا يابسا عندها بالضبط تكون التحولات الاجتماعية بالقصر الوسطاني قد شارفت على نهايتها.[1]

و تمر ثلاثون سنة على القصر ليكون هذا الفرق الكبير في نقلة من الطين الأبيض نحو الشمبوان،ومن البخار الطيني ودهن البريانتي نحو الصابون المعطر والعطر الباريسي.

وتستخدم الرواية المكان كمرآة للزمن النفسي؛ حيث يصبح انعكاسا لحالة الشخصيات فتارة يبدو المكان خانقا ومغلقا حيث تسود مشاعر القهر والغربة.وتارة يحمل ملامح الحنين والدفء حين تستدعي الذاكرة زمنا مضى.يقول الروائي:"**حتى نهيق الحمير في سماء القصر ياسادتي قل وبشكل لافت فبعد ماكان نهيقهم يشكل عندنا معزوفات صوتية غنائية صباحية ومسائية وليلية(...) الآن يكاد القصر يخلو من الحمير**[2].

بين كان والآن ألف قصة من حسرة،وشوق لماضي ركب الموضة،ولن يعود.على الرغم من أنه المكان نفسه " القصر" لكن بين ماضيه وحاضره عادات محيت،وأدوات طمست، ومشاعر شوهت، وأصالة شطبت...

وصور الروائيمكانحبه أول مرة ونهاية جنونه بعد سنوات ما خلق زمنا دائريا في المكان المسمى حفرة الرابطة، يقول:"**لم يكن من سبيل أمامي أخيرا سوى حفرة الرابطة خارج القصر إنها بداية العشق ونهاية الجنون**[3].ويعكس هذا التقابل الزمني و المكاني بنية روائية تعتمد على تقنيات سردية مثل الاسترجاع،وتقاطع الحكايات حتى تبلغ العلاقة بينها ذروتها فيصبح المكان كيانا يعاني، و يئن مع شخصياته لا مجرد مسرح للأحداث.

ويتحول الزمن في البيئة الصحراوية إلى تجربة ذاتية مضطربة، فتمتزج الذكريات مع الهواجس والماضي مع الحاضر، وتبهم معالم التمييز بين ماهو حقيقي وما هو متخيل، فيتحول الانتظار وسط قسوة ووحشة الصحراء إلى لحظات صعبة ومرهقة، ما يضاعف

[1] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص12 13

[2] المصدر نفسه، ص12

[3] المصدر نفسه، ص137

الشعور بالملل والتآكل النفسي. بهذا تظهر البيئة كقوة ضاغطة تتحكم في إدراك الشخصيات للزمن.

وتسجن الصحراء الإنسان في دائرة زمنية مغلقة وتجعله أسيرا لحالة من الشتات النفسي في جوف الفضاء الأصفر الشاسع.

سادسا: علاقة المكان بالشخصية:

يترابط المكان والشخصيات في صورة جدلية ،و يشير محمد عزام إلى هذه العلاقة ،فيقول: **المكان هو عنصر فاعل في الشخصية الروائية يأخذ منها ويعطيها، فالشخصية التي تعيش في الجبل يطبعها الجبل بطابعه، فيظهر أثره في طابع السكان وسلوكهم والشخصية التي تعيش في المدن تطبعها المدن بطابعها ويتجلى أثر ذلك في سلوكها أيضا، كما يؤثر المكان في السكان فإن السكان أيضا يؤثرون في المكان بعلاقة جدلية**[1].

ويتجلى هذا في رواية مملكة الزيوان من خلال شخصيات القصر التي غرست فيها مدينة توات طابعها ورسمت ملامح الصحراوي الزيواني،ونأخذ مرابط نموذجيقول:"**تحررت من عقدي وعقداتي التي تتلبسني في القصر ولم تعد سقوفه وجدرانه المطلة وعيون ساكنيه تحاصرني في ملاقاتي بأميزار**".[2]

و نلاحظ أن شخصية المرابط تتأثر بالتواجد المكاني فتتصرف وفقا للمكان الجديد، فوجوده في القصر كبل تصرفاته وأخضعه للعادات والتقاليد المسيطرة هناك أما تواجده بأدرار أرخى اللجام فاستمتع بما حرم منه مع أميزار في قصره.

وظهر تأثير المكان على الشخصية جليا في رسالة أميزار لابن عمها الزيواني تقول فيها:"**علمتني الحضارة والثقافة في تونس أننا نعتذر لمن أخطأنا في حقه يوما أعتقد أني بذلك الرد البربري... الذي رددت به عليكم أني أستحق كل علامات العار...**[3]

[1] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق،سوريا،د.ط، 2005، ص70

[2] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص136

[3] المصدر نفسه ص129

و يؤثر نطاق البيئة في لباس السكان ولغتهم وطبيعة عيشهم لأن المكان أكثر التصاقا بحياة البشر، كما أثر المكان أيضا، وهو الجزائر العاصمة على علاقة الداعلي ومرابط في قوله:"**دخلتك مع الداعلي أعداء وخرجنا أصدقاء**"[1].وهذا يدل على تأثير البيئة على ذهنية القاطنين في التخلي عن الصرامة التي فرضتها البيئة الصحراوية، وخشونة اللفظ الذي تجلى في رسالة أميزار.

إذن المكان و الشخصية عنصران بارزان وأساسيان،وهما من أبنية السرد لما لهما من أهمية كبيرة في شكل الأعمال الأدبية.

2_البيئة والزمن الروائي:

يشكّل الزمن الروائي في مملكة الزيوان عنصرًا بنيويًا مهمًا في تشكيل بنية السرد وتطور الأحداث، إذ يتجاوز كونه مجرد إطار كرونولوجي لتسلسل الوقائع، ليصبح أداة فنية تنعكس من خلالها رؤى الشخصيات ومواقف الروائي تجاه الواقع. وقد نجح الصديق حاج أحمد في تقديم زمن متعدد المستويات: هناك زمن سياسي مُعلَن يتكرّر بلا تجديد، وزمن داخلي تعيشه الشخصيات في صمت وتأمل، وزمن سردي يتنقل بين الماضي والحاضر والمستقبل بأسلوب غير خطي.

أول ما يلاحظه القارئ أن الرواية لا تبدأ من نقطة زمنية واضحة، بل تنطلق من لحظة توتر وانغلاق تاريخي، تُحيل إلى عهد طويل من الركود الاجتماعي في "قصبة القصر الطيني". فالزمن هنا يبدو معلّقًا، لا يتقدّم ولا يتراجع، يُعيد نفسه بصورة دائرية، كأن البلاد تعيش داخل "حلقة مغلقة من القهر والانحدار"، وهو ما يُعزّز الإحساس باللاجدوى والانحباس. وفي هذا السياق يقول الراوي:"**كان سكان القصر في سالف عهدهم وحاضرهم أيضا، وفي واقعهم وخيالهم يروون عن المكان روايات مرعبة**"[2]

[1] المصدر السابق، ص 125

[2] الصديق نفسه، ص5

يبرز هذا التوصيف الطابع الرمزي للزمن، حيث يُستخدم كمرآة للشلل الفكري والاجتماعي الذي تعيشه المنطقة، إذ تحكمها الخرافات والأساطير والتي تبدو محفورة في عقليتهم.

كما يُلاحظ أن الروائي يُمارس الاسترجاع الزمني بكثافة، إذ تعود الشخصيات إلى الماضي لتحلل أسباب ما تعيشه من قهر وضياع في الحاضر. وهذا التلاعب بالزمن يمنح الرواية عمقًا نفسيًا وفلسفيًا، إذ يُشير إلى أن الحاضر هو نتيجة تراكمات ماضية من الصمت والفساد، وأن المستقبل سيظل قاتمًا ما لم يحدث تغيير جذري في بنية السلطة والمجتمع. فنحن نقرأ عن طفولة البطل، وماضي المملكة، وتاريخ المعارضة، لكن لا في ترتيب خطي، بل في مقاطع متقطعة تُشبه شذرات من الذاكرة الجماعية.[1]

واللافت أن الزمن في "مملكة الزيوان" هو أيضًا زمن رمزي، إذ لا يعتمد على تواريخ دقيقة أو أحداث تاريخية واضحة، بل يُركّز على الإحساس بالوقت ممثلا بالإحساس بالانتظار، والإطالة والجمود.

و ُستخدم في مواضع أخرى الزمن الروائي بطريقة تنبؤية، حيث يخلق إسقاطات على المستقبل، تنبئ بما قد يحدث في قوله: **وقد زاد يقينه بالطالب أيقش ساعتها، لحصول ماذكر له آنفا**[2]. فنقرأ أحيانًا عن شخصيات تحلم بالمغادرة،. وهذا يجعل الزمن في الرواية يحمل بعدًا تأمليًا، يدعو القارئ للتفكير في المسار الزمني للأحداث، وفي جدلية الحاضر والماضي والمصير.

يُعدّ الزمن الروائي في مملكة الزيوان من المكونات البنيوية الأساسية التي أسهمت في تشكيل نسيج السرد، وهو ليس مجرّد خلفية للأحداث بل عنصرا فعّالا يُعبّر عن طبيعة الواقع الفكري والاجتماعي للمملكة المتخيلة. فقد اختار الصديق حاج أحمد أن يتعامل مع الزمن برؤية فنية تقوم على التكثيف، والانكسار، والتشظي، ما يجعل زمن الرواية زمنًا نفسيًا ورمزيًا في آنٍ واحد، أكثر مما هو تاريخي أو كرونولوجي.[3]

---

[1] باختين، ميخائيل الخطاب الروائي. ترجمة: محمد برادة، دار إفريقيا الشرق، 2001 , ص 98.

[2] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص6

[3] لوتمان، يوري , بنية النص الفني. ترجمة: يوسف أسعد، وزارة الثقافة السورية،دمشق،سوريا، 1988 , ص 214.

1_ التكرار والانغلاق

من أبرز سمات الزمن في الرواية طابعه الدائري، حيث تتكرّر الأحداث وتتشابه المصائر، وكأن الزمن لا يتقدم بل يدور في حلقة مفرغة. فكل محاولة للتغيير تُجهض، وكل أمل يُولد ميتًا، ما يُكرّس شعورًا عامًا بـ"الجمود الزمني". هذه السمة تعكس بدقة طبيعة الأنظمة الشمولية التي تُكرّر أخطاءها وتُعيد إنتاج نفسها عبر القمع والتجهيل. يقول الراوي في أحد المقاطع:"**إن آباءكم وأجدادكم قد عاشوا بحسب ما أتيح لهم الزمان ورضي كل واحد منهم بحسب ماقدر له من الحاجة للآخر فعيشوا فيها بحسب ما يتاح لكم وإياكم والالتفات كثيرا للوراء فإنه قد فات ومات.**"[1]

2_ تقنية الاسترجاع

اعتمد الراوي على تقنية الاسترجاع الزمني لاستذكار المحطات التي وقعت في زمن مضى تكشف أسباب النقطة التي وصلت إليها القصة، فقد حدد الروائي الفترة الزمنية التي أراد وصفها والتوسع فيها في المتن بسبب التغييرات التي أصابت القصر : **ثلاثون سنة يا سادتيمرت على قصرنا الوسطاني بتوات**[2]مما دفع الروائي إلى انتقاء بداية متحركة تضع القارئ مباشرة في الأحداث بتحديد الفترة الزمنيةوشخصياتهامستعينا بطرح مجموعة من الأسئلة تزيد من فرصة التشويق للقارئ مثل :**كيف كان قصري؟ وكيف أصبح؟أيهما كان أحسن ماضيه أم حاضره؟ فالحكم لك عزيزي القارئ**[3]

تمثل البداية أعسر عتبة للراوي،فالمتلقي عادة ما يحكم على الكتاب من مقدمته،ونلاحظ هنا مقدرة الصديق حاج أحمد في انتقاء بداية قوية لسرده باستفزاز ذهن القارئ لإتمام القراءة،وعرج الروائي إلى تفاصيل حياته منذ لحظة المخاض إلى الخطوات الأولى التي زف بها إلى خارج حدود البيت فتعلمه و حبه و عمله...

وتمكن تقنية الاسترجاع الراوي من التحايل الزمني بقطع الترتيب والعودة إلى أحداث ماضية مما يكسر الرتابة والروتين وتجعل المتلقي دائم التفطن. كما وظفت التقنية أيضا في

[1] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص 14

[2] المصدرنفسه، ص 13

[3] المصدرنفسه، ص 13

استرجاع صفات مريمو أخت مرابط ومن بين صفاتها أنها:"**مستملحة الطلعة المرابطية، مستخولة الدعة الشريفة، فيها شبه كبير من أمي وخالتي**"[1]

واستطاع الراويمن خلال تقنية الاسترجاع أن يستحضر بعض العادات و التقاليد التي كانت سائدة في العصر الجاهلي ،و انتشرت في قصره،ومن بينها احتقار البنت و الحزن على قدومها:"**بالرغم من أن البنت غير مرحب بها في قصورنا يومئذ لكونها لا ترث ما حبس من الميراث إلا أن أمي سرها ذلك على كل حال**"[2]

وأشار الراوي في مملكة الزيوان إلى واقع الأنثى المرير في البيئة الصحراوية راغبا في تغيير هذا الواقع كونه ابن بيئته ملم بكامل تفاصيلها و عارف بعاداتها و تقاليدها.

واسترجع الراوي أيضا بعضا من العادات القاسية والأليمة الأخرى كختان الأطفال الذي يتم بطريقة بدائية جدا واستغرق عشر صفحات للعودة إلى حدث الختان، ومرد ذلك الإشارة إلى الفلكلور الثقافي لختان الأطفال في البيئة الصحراوية.

3_الاستباق:

مهد الصديق حاج أحمد لأحداث النص المستقبلية و الشخصيات التي ستظهر في قادم السطور؛ حيث خرج مرابط للحفرة الطينية لاستعادة حب أميزار متبعا توصيات الطالب أيقش: "**نفذ توصيات أيقش بحذافيرها، وخرج متلمسا في عوالم الحفرة الرابطة الخفية حلا لحلمه وتحقيقا لعشقه الذي يخالف أحلام أنداده من سكان القصر، الذين كانوا يرون في حلم الميراث عراجين وزيوان نخل السباخ ، وعشق قواريط ماء الفقارة، مغنمة لا تضاهيها مغنمة أخرى**"[3].

وهو نموذج عن استباق لبعض الأحداث التي تقع في قادم صفحات النص،ويشير إلى المعتقدات التي يؤمن بها أهالي القصر،وتتضح أسباب الذهاب لاحقا أين نجد أميزار تختار الداعلي تاركة لمرابط "**لاأعلم من أمري إلا أنني صرت مجنونا بالقصر فتوصل أهلي**

[1] المصدر السابق، ص 20

[2] المصدر نفسه، ص19

[3] المصدر نفسه، ص 6

للطالب أيقش فأبي وتمنع بفعل ما أوصاه الداعلي من غدقه بالمال لم يكن من سبيل أمامي أخيرا سوى حفرة الرابطة خارج القصر"[1].

أبرز الراوي في البادية ما آلت إليه الرواية في النهاية.ونجد العنونة التالية دليل واضح على تقنية الاستباق: "بداية مستلفة من النهاية" بين الراوي فيها التغيرات الطارئة على المجتمع الصحراوي فكرا وهندسة و تعليما و لغة وحتى في الأدوات المستخدمة حديثة مثل الشمبوان، و العطر الباريسي ...

يعمل الصديق حاج أحمد في سرده على بيان التغيرات البيئية التي حدثت بفعل الزمن، وعدد تقنياته لكسر الرتابة والملل عند المتلقي لكن الهدف عينه. فقد ظهرت البيئة الصحراوية متأثرة بالزمن،وهو ما يدل على أن الراوي قد عايش بيئته بتفاصيلها و حيثياتها منذ أن كانت في قمة الانغلاق؛ أين سيطرت الأساطير و الخزعبلات، و آمن الناس بمعتقدات ساذجة تحقق مطالبهم، إلى التحرر من قيود المجتمع الصحراوي عامة و القصر خاصة في الجزائر العاصمة ،و هذا التغيير لم يحدث بين عشية وضحاها إنما احتاج إلى وقت طويل قدره ثلاثون عاما .

فلم يعد مرابط يندهش في مركبة تسير على أربع كما وصفها :"**كانت هذه المرة الأولى التي أركب فيها ذوات الأربع التي تمشي بالمحرك"[2]**إنما صار يعرف تسمية أفخم السيارات أيضا: "**إذ وقفت أمامنا سيارة مرسيدس يركبها الداعلي"[3]**وغاب صوت الحمير عن القصر ؛،فعبدت الطرق و سهل السفر و التواصل بين البشر، فتحول الرمل من مصير قاس إلى ملاذ استقرار.

مما سبق نخلص إلى أن الزمن في مملكة الزيوان ليس مجرد أداة لسرد الأحداث، بل هو عنصر تعبيري عميق عن الأزمة الاجتماعية والفكرية التي تعيشها المملكة.فهوزمنٌدائري،وخانق، وغامض، ومفكك،ويتقاطع فيه الماضي بالحاضر، وتضيع فيه

[1] المصدر السابق، ص137

[2] المصدر نفسه، ص 87

[3] المصدر نفسه، ص 137

ملامح المستقبل. وبهذا استطاع الصديق حاج أحمد أن يجعل من الزمن أداة لقراءة الواقع، وليس فقط وعاءً له.

3_ البيئة والشخصية الروائية:

أ.العلاقة بين البيئة الروائية والشخصية في "مملكة الزيوان" :

تلعب البيئة الروائية في مملكة الزيوان دورًا محوريًا في تشكيل نفسية الشخصيات وتوجيه مسارها السردي، فهي ليست خلفية صامتة، بل عنصرا فعّالا يُؤثّر في أفعال الشخصيات، في نظرتها للحياة، وحتى في لغتها ومواقفها. فقد عمد الصديق حاج أحمد إلى تصوير بيئة خانقة، جافة، فقيرة، تتداخل فيها الطبيعة القاسية مع القمع السياسي، لينتج عنها كائنا بشريا مسحوقا، و مهمّشا، و ممزّقا بين الخضوع والرفض.

أولًا: البيئة الروائية كقوة ضغط نفسي

تدور الرواية في مملكة صحراوية، وهي بيئة قاحلة، وفقيرة الموارد،وشحيحة المطر، وشديدة الحرارة. لا تقتصر القساوة على الطبيعة فقط، بل تمتد إلى البنية الاجتماعية والسياسية. وهذه البيئة تُخلّف أثرًا نفسيًا عميقًا على الشخصيات. فهي تخلق شعورًا عامًّا بـ"الاختناق"، وتُنتج إنسانًا يعاني من فقدان الأمل وضياع المعنى.

ثانيًا: تشكُّل الشخصية الروائية تحت تأثير القمع البيئي

الشخصية الرئيسية (مرابط) هو ابن هذه البيئة الجافة، وقد تأثّر بها على مستوى اللغة والتفكير والتصورات. و نشأ في محيط لا يُنتج إلا الانكسار أو التمرد الصامت.و هذا ما يُفسّر صوته الداخلي الحائر، المتردد، الذي يُعبّر عنه الروائي بلغة شديدة الحساسية:**"قفل ضاع مفتاحه في كرناف النخل...كم لك في خضرتك، وزيوانك، نفع يا عرجون، معظم الأشياء لها في خضرتها حظوة وسلوان، ولها في يبسها نكر وهجران، إلا أنت يا عرجون وزيوانك، وأمكما النخلة.."**.[1]

[1] المصدر نفسه، صفحة غير مرقمة

تختصر هذه الجملة علاقة الراوي بالبيئة: الفقر والبؤس والرضوخ للواقع. وكلها ظروف تسهم في تكوين شخصية منكسرة، لكنها واعية ومتفطنة،وهو ما سيجسده في شخصية مرابط.

ثالثًا: التناقض بين الشخصيات والبيئة – صراع وجودي

تحاولبعض الشخصيات في الرواية مقاومة البيئة الصحراوية ،وقواعد القصر لتحظى بحريتها مثل شخصية المرابط التي تحاول قضاء وقت منفرد مع الحبيبة أميزار،وهو ما يتنافى مع العادات السائدة هناك فالمعروف عن الشخصية التواتية أنها شخصية راضخة للواقع الاجتماعي مهمشة للمرأة رغبة في الميراث بالنسبة للذكر.

وتميزت شخصيات مملكة الزيوان بالواقعية و شارك الراوي مجريات السرد ،وتواجد داخل روايته ،وتفاعل مع شخصياتها التالية:

_شخصية لمرابط الزيواني : لبس الراوي ثوب الشخصية البطلة فحرك الأحداث، ويظهر ذلك في سرده لتفاصيل رضاعته، وطفولته المبكرة، وحبوه،وختانه ،وهي تفاصيل يستحيل أن تدرك و تسترجع لذاكرة طفل صغير. فتسرد شخصية مرابط في نص مملكة الزيوان وقائع و أحداث القص ،والقارئ لهذا النص يشعر بواقعية البطل المشبعة بسمات الفضاء الصحراوي[1]، بداية من نقل الحيثيات المتعلقة بأجواء ميلاد الطفل ،فيقول: **حين "تقلصت عضلات رحم أمي وقذفت بي إلى هذا الوجود المبكي يا سادتي أول شيء حاولت القيام به أني استهللت صارخا"[2].**

وأشار الروائي إلى الطرائق المتبناة أثناء ميلاد الطفل في البيئة الصحراوية، فاختيار شخصية مرابط متعمدة لسرد عادات و تقاليد المجتمع الصحراوي والتعريف بالبيئة الصحراوية و معتقداتها، كما استعمل الراوي اسما آخر للشخصية نفسها "درويش القصر" بسبب فقدان حبه بذهاب أميزار محبوبته مع صديقه الداعلي. وهو ما يدل على تأثير البيئة الجديدة و الوقائع على صفات الشخصيات و عقليتها.

[1] انظر: علاوة كوسة، شعرية السرد في مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، مارس 2017، العدد الرابع، ص240

[2] الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، ص16

_**الأم:** جسدت شخصية الأم معاناة المرأة في البيئة الصحراوية ونظرة الاحتقار لها بعد وضعها لمولود أنثى و جسد نضالها و صبرها وإيمانها ،بالإضافة إلى عاطفة الأمومة التي تحكمها بعد علاقة تسعة أشهر مع صغيرها:"**بالرغم من هذا الإعياء و الإغماء الذي كانت فيه إلا أنه و الحق يذكر كانت ترسل بين الحين والآخر نظرات عطف و إشفاق تنسى عندها أمرها وهو بين أيدي القابلات والجارات**"[1].

وتطرق الراوي إلى طريقة تفكير نساء الصحراء ومعتقداتهم:"**ومن التبريرات التي قدمتها عمتي نفوسة لفساد حمل والدتي الأول والثاني أن زوجات أعمامي لأبي قد سحرن أمي وكتبن لها الحساب بخط الجدول عند الطالب أيقش**"[2].فمثلت شخصية الأم صورة مصغرة لواقع المرأة في الصحراء ومصيرها.

_**شخصية مريمو:** وهي أخت الدرويش صورت بنظرة الإشفاق بسبب سيطرة العادات التواتيةعليها ،وعدم الاحتفال بولادتها بسبب ضياع حقها في الميراث، وهي إشارة إلى تمسك الصحراء بعادات الجاهلية: "**دفعت الثمن غاليا ببوارها وعدم تعليمها وفي الأخير عدم زواجها لكونها طوبة، والطوبة لاترث ما حبس من الميراث**"[3].

_**شخصية الداعلي:** يمثل الداعلي الصديق الوفي الذي لازم مرابط عبر مراحل حياته ليتحول بتغير الوقائع وتطور الزمن إلى الشخصية الخائنة التي تكن لمرابط الغدر والمكائد والذي يستعين بالطالب أيقش ليخضع أميزار محبوبة صديقه له:"**لم يكن للداعلي من قصد سوى الانتقام المفاجئ مني، لكن المال والنفوذ وركعة الأسياد التجار له جعله يتمكن من قلب أميزار عن طريق الطالب أيقش وينسف ما بنيته خلال ثلاثين سنة**"[4].

ضربت شخصية الداعلي مثال للانحلال الأخلاقي،و التخلي عن قيم الصداقة و الجيرة عند حضور المال و الوصول إلى السلطة.

[1] المصدر السابق، ص18

[2] المصدر نفسه ص 20

[3] المصدر نفسه، ص 11

[4] المصدر نفسه، ص137

_شخصية أميزار:تواتية الأصل بجنسية تونسية بعد زواج والدها الغيواني من امرأة تونسية تدعي منوبية التقى بها بعد سفره إلى تونس راغبا في تغيير وضعه المادي، واختار لها والدها اسم أميزار على اسم والدته التي فارقت الحياة.

تلعب شخصية أميزار دور الأنثى المتحررة من قبضة العادات والتقاليد والمنفتحة على الخارج الأمر الذي صعب على مرابط الوصول إليها فأتعب فؤاده لتلين أخيرا أمام قوة الرجل الصحراوي بعد شهادته و ثقافته ومنصبه في قوله: "**إنما الذي شفع لي في حب أميزار، هو ثقافتي وشهادتي و منصبي يا عمتي**"[1].

كما تشير إلى الطرف الثالث الذي قطع الصداقة بين الداعليو مرابط، ما كشف سذاجة العلاقة بينهما والتي دمرت بسهولة بسبب امرأة.

_شخصية الطالب أيقش: هي الشخصية المؤمنة بالأساطير شخصية غريبة الأطوار، يلجأ إليها أهل القصر لتحقيق رغباتهم التي يجدون صعوبة في الوصول إليها، فيصف للزائر بعض الوصفات السحرية التي حصل عليها من عالم الجان.وجاء ذكره كاقتراح لعلاج صدمة العمة نفوسة من قانون الثورة الزراعية ،و كاقتراح أيضا للوصول إلى قلب أميزار: "**تدهورت الحالة النفسية و الصحية لعمتي، ماجعل والدي يفكر في عرض قضيتها على الطالب أيقش**"[2].

و تعكس شخصية الطالب أيقش ذهنية الشخصية التواتية الصحراوية التي تسيطر عليها المعتقدات الأسطورية و التكاتف مع الجن لتحقيق الأمنيات الصعبة والمستحيلة ،وهي ذهنية رجعية مدمرة ومحبطة تجعل الإنسان في صراع دائم و شك مريب في علاقاته بمن حوله.

_شخصية الأب: ورد ذكرها في العديد من المقاطع السردية، وهي شخصية محبة للخير و معطاءة تحكي عن رفعة أخلاق المجتمع الصحراوي و حبهم للمساعدة ،وإكرامهم للضيف: "**لم يشفق أحد على أبناء الخماسين، ويزهد في سباخه، وفقاقيره، ويرسل ابن**

[1] المصدر السابق ص: 130

[2] المصدر نفسه، ص 96

خماسهللدراسة، إلا أبي، ألا يستحق أن يكون إنسانيا[1].بالإضافة إلى شخصية الغيواني التي عانت من الإفلاس وتغربت عن وطنها لتغير واقعها المريرفي البيئة الصحراوية.

أثرت البيئة على الشخصيات تأثيرا مباشرا، أرضخت الشخصيات الضعيفة إلى مصيرها كشخصية مريم التي لم تبد أي مقاومة أو معارضة، في حين سيطرت على الشخصيات ذات العقلية البدائية الشعوذة و الاستعانة بالسحر،و جسد في شخصيتي العمة نفوسة و الطالب أيقش، كما تجلى التأثير البيئي على الشخصية في تغيير فكر مرابط من أن السبيل لكسب قلب أميزار يكون بالشهادة و العلم لابفعل حرز أيقش، وهذا يدلنا على موقف الشخصيات من بيئتهم الصحراوية القاحلة، فكانت هناك شخصيات رافضة للأوضاع السائدة مثل والد الغيواني و اللندوشي،و ذلك لتحديه لموقف الصحراويين القائل بنبذ المدارس باعتبارها إرثا فرنسيا، شخصيات أخرى كان يسيطر عليها الطمع مثل شخصية العمة نفوسة بعقلية المنطقة و الأعمام أيضا الذين لطالما رغبوا في الاستيلاء على التركة، وكانت هناك شخصيات متعلمة ترغب في نشر العلم و الحضارة كشخصية جاسم العراقي و البشاري بالإضافة إلى الشخصيات المظللة التي أرادت التأقلم مع بيئتها بطريقة خاصة يسهلها عليهم السحر و عالم الجان مثل الطالب أيقش.

وتباينت مواقف الشخصيات من بيئتهم بين القبول والرفض، الخضوع والتحدي، البقاء والرحيل. فنسجت بطريقة فنية أحداث متناغمة تحكي عن تنويع الاستراتيجيات لتحقيق المصير في بيئة تحكمها القسوة والعدمية.

مما سبق يمكن أن نقول إن مملكة الزيوان نسجت بطريقة فنية ؛فنقلت بشكل تصويري الواقع الصحراوي وكشفت أسراره التي أوضحها الراوي على لسان شخصية المرابط الدرويشي الشخصية التي عايشت تضاريس الصحراء وعادات وتقاليد التواتيين منذ أن استهل حياته صارخا في الحفرة الرابطة دون أن يشعر القارئ بالملل، وذلك باللجوء إلى تقنيات التحايل الزمني من استباق واسترجاع مقدما الشخصيات الجديدة بذكاء وانسيابية تكاد لا تنتبه أن الشخصية مضافة حديثا أو غريبة عن وقائع السرد، بل تشعرك أنك تعرف الشخصية حق المعرفة ،و مرد هذا النسج المتماسك الذي تجلى كلحمة واحدة مترامية

[1] المصدر السابق، ص 86.

الأطراف، أن الشخصية البطلة، وهو الراوي نفسه _وكنا قد أشرنا كيف فهمنا ذلك في التحليل _ عارف بكل تفاصيل الفضاء الصحراوي ومتأثر بحيثياته، ما يبرهن لنا تأثير البيئة على الأدب عامة وعلى الأديب خاصة، فسهل الأمر بالنسبة للراوي أن يجد طريقة تواصل حية مع القارئ وإن كان غريبا على البيئة الصحراوية، فلم يضعه موضع القارئ التائه بين السطور فقط إنما المتفرج على المشاهد بما يماثل عرض شريط وثائقي لحياة التواتي في صحراء الجزائر الكبرى.

وظهرت البيئة الصحراوية بحرارتها و ندرة مياهها،و قسوتها مؤثرة على كل عناصر السرد فتلاعبت بالزمن النفسي للشخصيات، مما أعطى هذه الأخيرة ردة فعل متباينة تجاه الصحراء اختلف بين الرفض و القبول، فجاء انتقاء الأماكن من قبل الراوي مكملا لمزاج الشخصيات، وراضخا لحكم الصحراء، فتمازجت وتناغمت العناصر لتصل بنا إلى عمق تأثير البيئة على الأدب عامة والأديب خاصة.

الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يمكن القول إنّ البيئة تُعد من أهم العناصر التي تُسهم في بناء النص الروائي، فهي ليست مجرد خلفية تدور فيها الأحداث، بل تُشارك بفعالية في تشكيل المعاني وتوجيه دلالات السرد. وقد اتضح من خلال تحليل رواية مملكة الزيوان أن الروائي الصديق حاج أحمد لم يقدّم بيئة سطحية أو جامدة، بل جسّد من خلالها مواقف فكرية وسياسية واجتماعية عميقة، عكست واقعًا مأزومًا يعيشه الفرد داخل مجتمع مختنق تحكمه السلطة، ويعاني من التهميش والاضطراب.

وتنوعت البيئة في الرواية بين طبيعية (كالصحراء والمناخ الحار)، واجتماعية (السباخ المسلوبة والعلاقات المتوترة)، ونفسية (الخوف والقلق والاغتراب)، وسياسية (القمع والاستبداد)، وقد اندمجت جميعها داخل الفضاء السردي لتخدم الرؤية العامة للنص، التي تقوم على النقد والسخرية والتمرد الرمزي.

كما أن الزمن والشخصيات لم يكونا منفصلين عن هذه البيئة، بل تفاعلا معها وانعكسا من خلالها، حيث شكّلت البيئة مأزقًا وجوديًا للشخصيات، ودفعتهم نحو الانطواء أو المواجهة أو الهروب، في سياقات سردية مشحونة بالرموز والإيحاءات.

ومن خلال هذا كله، يتضح أن الروائي قد وظّف البيئة توظيفًا فنيًا وجماليًا وذو بُعد رمزي، مما جعل الرواية ليست فقط شهادة على الواقع، بل تأملًا فيه ومحاولة لفهمه ومواجهته عبر الأدب. وهذا ما يمنح مملكة الزيوان قيمتها الأدبية والفكرية داخل السرد الجزائري والعربي المعاصر.

و لاشك أن رحلتي البيئية في مملكة الزيوان التي استغرقت مني وقتا و جهدا أملت علي التوصيات الآتية:

* ضرورة تعميق الدراسة في موضوع البيئة الروائية بوصفها عنصرًا دلاليًا لا يقل أهمية عن الحدث أو الشخصية.

* أقترح على الباحثين في الأدب الجزائري المعاصر التوسع في دراسة روايات الصديق حاج أحمد، نظرًا لغناها الرمزي واللغوي، وتوظيفها الواعي للبيئة.

الخاتمة

*أوصي بتناول البيئة في مملكة الزيوان من منطلقات سيميائية أو أنثروبولوجية، لكشف العلاقات الرمزية بين الإنسان والمكان.

* أقترح إدراج هذه الرواية ضمن المقررات الجامعية الخاصة بالأدب المغاربي الحديث، لما تحمله من طرح نقدي جريء وسرد متقن.

* أنصح بإجراء مقارنة بين مملكة الزيوان وروايات عربية أخرى تتناول قضايا مشابهة، خاصة من زاوية علاقة الإنسان بالمكان والسلطة.

* أوصي بتشجيع الطلبة على دراسة البيئة الأدبية ليس فقط من منظور وصف المكان، بل أيضًا من حيث التفاعل النفسي والاجتماعي الذي ينتجه النص.

* أقترح تنظيم ورشات تحليل نصوص أدبية تُعنى بالبيئة والفضاء، لتعزيز القراءة النقدية لدى طلاب الأدب واللغة.

* أوصي باستثمار الأدب الجزائري المعاصر كمرآة لفهم التحولات السياسية والاجتماعية في البلاد، من خلال عناصر مثل البيئة والفضاء والرمز

الملحق

لمحة عن الروائي:

نشأالصدّيق حاج أحمد الذي اشتهر باسم الزيواني.بولاية أدرار بالجزائر في 19 ديسمبر 1967. بالوسط القصوري الطيني الواحاتي بالصحراء الجزائرية بمسقط رأسه زاوية الشيخ المغيلي بولاية أدرار. تلقى تعليمه القرآني بداية بكتّاب القصر على يد شيخه الحاج أحمد لحسيّن الدمراوي، وتدرّج في التعليم النظامي، حيث تحصّل على الباكالوريا، والليسانس، والماجستير، والدكتوراه. يشتغل كأستاذ محاضر لمقياسي اللسانيات وفقه اللغة بجامعة أدرار. تقلّد عدة مهام بالجامعة منها نائب عميد كلية الآداب واللغات لمدة سنتين ليتفرّغ بعدها للتدريس والبحث والإبداع . مشارك دائم بالصحافة الجزائرية المكتوبة، كما له مساهمات دائمة كذلك بالصحافة العربية، لاسيما جريدة (العرب) اللندنية، ومجلة (الجديد) اللندنية. أصدر أول رواية له عام 2013 تحت اسم "مملكة الزيوان."

_ النتاج الروائي:

- مملكة الزيوان، 2013
- كاماراڈ – رفيق الحيف و الضياع، 2015

- التاريخ الثقافي لإقليم توات، 2003
- الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، 2009

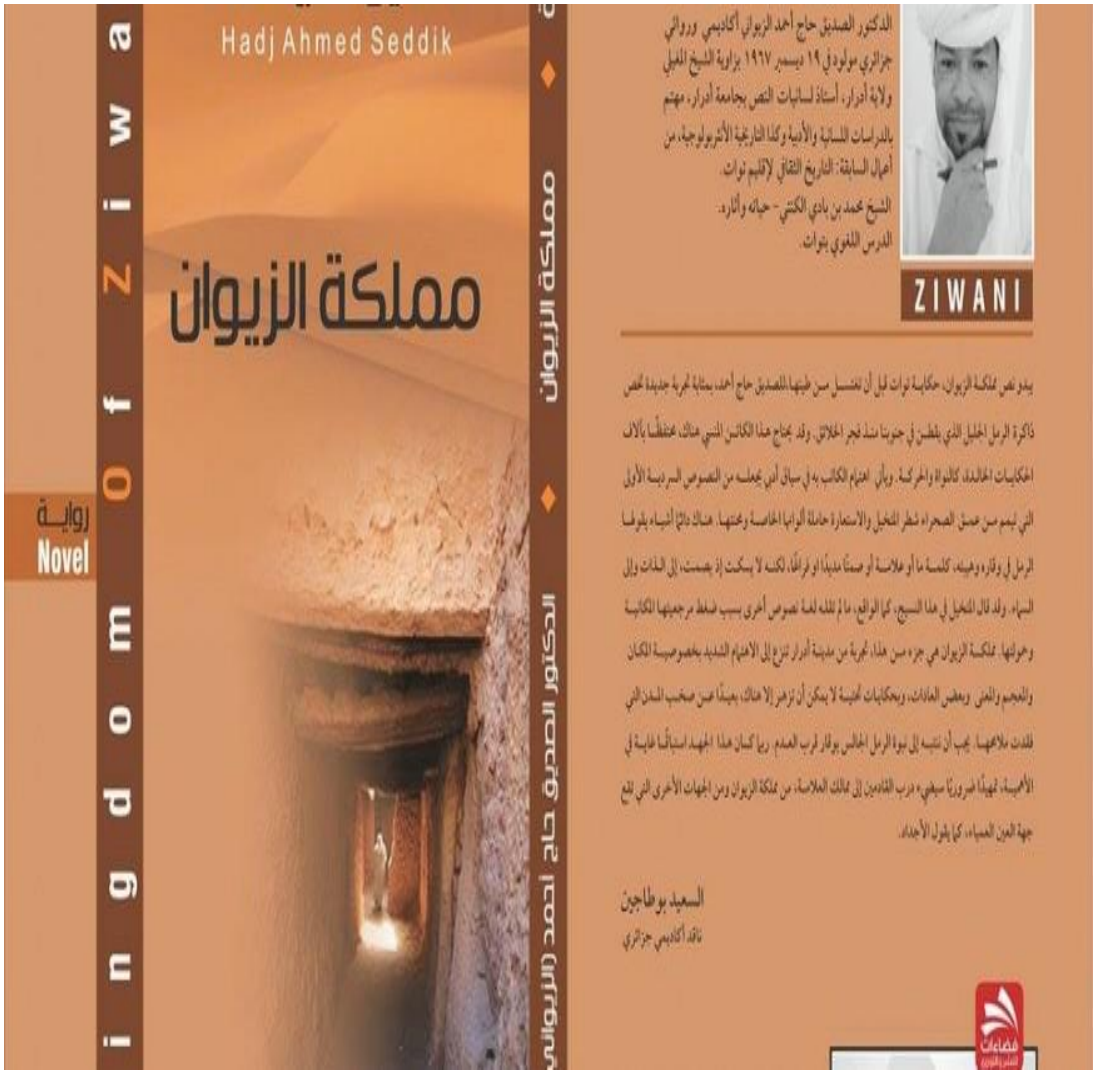
Hadj Ahmed Seddik
مملكة الزيوان
رواية
Novel
i n g d o m o f Z i w a
الدكتور الصديق حاج أحمد الزيواني أكاديمي وروائي جزائري مولود في ١٩ ديسمبر ١٩٦٧ بزاوية الشيخ الجليل ولاية أدرار، أستاذ لسانيات النص بجامعة أدرار، مهتم بالدراسات اللسانية والأدبية وكذا التاريخية الأنثربولوجيا، من أعمال السابقة: التاريخ الثقافي لإقليم توات.
الشيخ محمد بن بادي الكنتي - حياته وآثاره.
الدرس اللغوي بتوات.
ZIWANI
السعيد بوطاجين
ناقد أكاديمي جزائري

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم ،برواية ورش عن نافع،دار الغد الجديد، للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2012

أولا_ المصادر:

1. 1_الصديق حاج أحمد، مملكة الزيوان، دار فيسيرا، أدرار،الجزائر، 2013

ثانيا_ المراجع:

أ_ المعاجم:

2. _ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1997.
3. _الزبيدي فيض السيد محمد مرتضي الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس، ترجمة: علي بشر، دار الفكر بيروت، لبنان، (دط) ، 1994.
4. _الفيروز أبادي ،القاموس المحيط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (دط)، 1999
5. _جيرالد برنس، قاموس السرديات،تر: السيد امام، دار ميربت للنشر و المعلومات، القاهرة،مصر، 2003.
6. _جيرالند برنس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،مصر، 2003.
7. _عبد الغني، عبد العزيز، المعجم الغني، دار الكتب العلمية، بيروت،،لبنان، 2001
8. _مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة،مصر ، 2004

ب_ الكتب العربية:

9. _الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003
10. _الزوزني، شرح المعلقات العشر، دار المدد للنشر والتوزيع، الجزائر، ط11، 2012
11. _النعمان عبد المتعال القاضي، كتاب شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر،ط1، 2005

12. _جلال الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة قدمه وشرحه علي بوملجم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة، 2000.

13. _جليل دياب أبو جهة، الحداثة الشعرية بين الإبداع والتنظير، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1995 .

14. _حازم القرطاجني منهج البلغاء وسراج الأدباء، دار العرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1981

15. _حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة، ط1، 1990 .

16. _حمزةحسين، الشعر والبيئة: دراسة في الأدب الإيكولوجي، المؤسسة العربية للدراسات، 2013 .

17. _حيدر لازم، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010

18. _خفاجي محمد عبد المنعم، الأدب العربي في صدر الإسلام. دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان, 1984.

19. _ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت، لبنان،ط5، 2004

20. _رجاء وحيد دويدري، البيئة ومفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري المعاصر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004

21. _زهرة سعدلاوي كحولي، أساطير الصحراء ونداء الحرية في الكتابة الروائية عند ابراهيم الكوني، مركز النشر الجامعي، منوبة، دط، 2012

22. _سعود بن يوسف الغماش، شرح الرصافية، دار عيون المها، أربد، الأردن،(د،ط) ، (د،ت)

23. _شوقي ضيف، العصر الإسلامي. دار المعارف،القاهرة،ط1 (1963)

24. _صالح صلاح، سرد المواضيع الأنا والآخر عبر اللغة السردية مركز الثقافة العربية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.

25. _صلاح صالح، سرديات الروائية العربيةا المعاصرة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003

26. _عائشة الحكمي، تعالق الرواية والسيرة الذاتية، الدار الثقافية للنشر،القاهرة،مصر، 2006

27. _عباسإحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة، بيروت،لبنان،ط1960،1

28. _عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، منشورات السهل، الجزائر، ط1، 2009

29. _عبد اللهالغذامي,الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية. دار التنوير،ط1، 1985.

30. _علي أحمد الخطيب، فن الوصف في الشعر الجاهلي، دار المصرية اللبنانية،القاهرة ،مصر،ط1، 2004

31. _عليجواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم للملايين، بيروت،لبنان،ط1، 1968

32. _محمد الماغوط، الآثار الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان،ط1981،2

33. _محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د.ط، 2005

34. _محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث. دار الفكر العربي، القاهرة،مصر، ط1، 2004

35. _محمد يوسف نجم، فن القصة. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، عمتن، ط1، 1996

36. _محمود درويش، أحد عشر كوكبا، دار العودة، بيروت، لبنان، ط4، 1992

37. _منصور أنيس، الكتابة للجميع. دار المعارف،القاهرة،مصر،.1999

38. _نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الارشاد للطباعة والنشر و التوزيع،بيروت،ط1، 1970.

ج_ الكتب المترجمة:

39. _غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

40. _غولدمانلوسيان، علم اجتماع الأدب. ترجمة محمد برادة،دارالحداثة،بيروت، د.ط، 1970.

41. _لوتمانيوري، بنية النص الفني. ترجمة: يوسف أسعد، وزارة الثقافة السورية، د.ط، 1988.

42. _ميخائيلباختين، الخطاب الروائي: تخطيط في علم الجمال والسرد، ترجمة: محمد برادة، دار إفريقيا الشرق، د.ط،2001 .

د_المقالات:

43. _حسين علي جمعة،البيئة الطبيعية في الشعر الجاهلي" ،مجلة عالم الفكر،العدد 3، المجلد 25،1997

44. _حميد رضا زهرة إي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ديوان العرب، 2010

45. _دليلة مكسح ،البيئة في الشعر الجزائري المعاصر مقاربة بنيوية تكوينية وايكولوجية، علي بن زيد للطباعة والنشر ، بسكرة، الجزائر، 2016

46. _عبدالكريم الخضيرات، تشخيص البيئة الصامتة والبيئة المتحركة في الشعر الجاهلي ، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية،العدد 2، المجلد10، 2023

47. _علاوة كوسة، شعرية السرد في مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر،العدد 4، مارس 2017،

48. _قويدري، عبد الرزاق"الرواية الجزائرية الجديدة وأسئلة الهوية والانتماء: قراءة في مملكة الزيوان, مجلة اللغة والأدب، جامعة سطيف، العدد 30، 2019

49. _كلثوم، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، مجلة الأثر، العدد 4، ماي2005.

50. _بوشارب نبيلة، الفضاء الروائي بين المتخيل والرمز في رواية مملكة الزيوان، مجلة دراسات أدبية و فكرية، جامعة قسنطينة، 2020

هـ_الرسائل:

51. _علي علي صبح ،أثر البيئة في الشعر الجاهلي والأندلسي: دراسة وموازنة"، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة الأزه،مصر، 2010.

و_المراجع الأجنبية:

52. _Buell, L. (1995). The Environmental Imagination: Thoreau, Nature Writing, and the Formation of American Culture. Harvard UniversityPress p 7.

53. -Warren, K. (1997). Ecofeminis : Women, Culture, Nature. Indiana UniversityPress

ز_المواقع الالكترونية

54. أبوالعلا، البيئة والمحافظة عليها،جامع الكتب الإسلامية، المجلد1.

https://ketabonline.com/ar/books/92547/read?part=1&page=4&index=4629151 تمت زيارة الموقع يوم 2025/6/14، الساعة 22:00.

55. ديوان علي محمود طه، قصيدة ميلاد شاعر، موقع www.hindawi.org/books. تمت زيارة الموقع يوم 2025/4/30، الساعة11:00

الملخص

الملخص باللغة العربية:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل مظاهر حضور البيئة في رواية مملكة الزيوان للكاتب الجزائري الصديق حاج أحمد، حيث تم التركيز على دور البيئة الجغرافية والاجتماعية والنفسية والسياسية في تشكيل الخطاب الروائي. وقد أظهرت القراءة أن الروائي وظّف البيئة بشكل عميق وجمالي، فجعل منها أداة للتعبير عن الصراع، والتوتر، والاغتراب، وكشف آليات القمع السياسي والاجتماعي. كما تم التطرق إلى تفاعل البيئة مع باقي العناصر السردية، كالشخصية والزمن والفضاء، وذلك من خلال أمثلة نصيّة، وتحليل نقدي يكشف الرمزية الكامنة في مكونات المكان.

وتبيّن أن البيئة في الرواية ليست مجرد إطار خارجي، بل تُعد مكوّنًا وظيفيًا يُسهم في بناء المعنى، ويفتح المجال أمام تأويلات متعددة.

الكلمات المفتاحية: البيئة الروائية – مملكة الزيوان – الفضاء السردي – الصديق حاج أحمد – الرواية الجزائرية – الرمزية – المكان – الزمن – الشخصية – التخييل السياسي.

الملخص بالأنجليزية:

:Abstract

This studyanalyzes the presence and function of environment in the novelMamlakat al-Zaywan (The Kingdom of Zaywan) by the Algerian writerSeddik Haj-Ahmed. It focuses on how the geographical, social, psychological, and politicalenvironmentcontribute to shaping the narrative discourse

The analysis revealsthat the author employsenvironment not merely as a backdrop but as an essential narrative devicethatreflects conflict, alienation, and oppression.

The study also examines the interaction between environment and other narrative components such as character, time, and space.

Through symbolic and critical readings, the research highlights how environment serves as a deep structural element that supports the thematic and aesthetic depth of the novel.

:Keywords

Narrative environment – Mamlakat al-Zaywan – narrative space – Seddik Haj-Ahmed – Algerian novel – symbolism – place – time – .character – political fiction

فهرس المحتويات

الشكر	
المقدمة	**أ_هـ**
الفصل الأول: البيئة في الأدب	
1_ مفهوم البيئة	**2**
أ_ مفهوم البيئة لغة	**4-2**
ب_ مفهوم البيئة اصطلاحا	**5-4**
2_ علاقة البيئة بالأدب	**10-6**
ثانيا: مناقشة نظرية النقد البيئي وتطورها في الدراسات الأدبية	**14-11**
ثالثا: حضور البيئة في الشعر العربي	**25-14**
رابعا: حضور البيئة في النثر	**37-26**
الفصل الثاني: مظاهر حضور البيئة في رواية مملكة الزيوان	
1_البيئة والمكان الروائي	**57-39**
أولا: البيئة الجغرافية	**41-40**
ثانيا:الأماكن المفتوحة والمغلقة	**49-41**
ثالثا: آليات وصف المكان	**52-49**

رابعا: مكونات المكان	**53-52**
خامسا: علاقة المكان بالزمن	**56-54**
سادسا: علاقة المكان بالشخصية	**57**
2_ البيئة والزمن الروائي	**63-58**
3_ **البيئة والشخصية الروائية**	**68-63**
الخاتمة	**71-69**
الملحق	**74-73**
قائمة المصادر والمراجع	**79-75**
الملخص	**82-80**
فهرس المحتويات	**85-83**